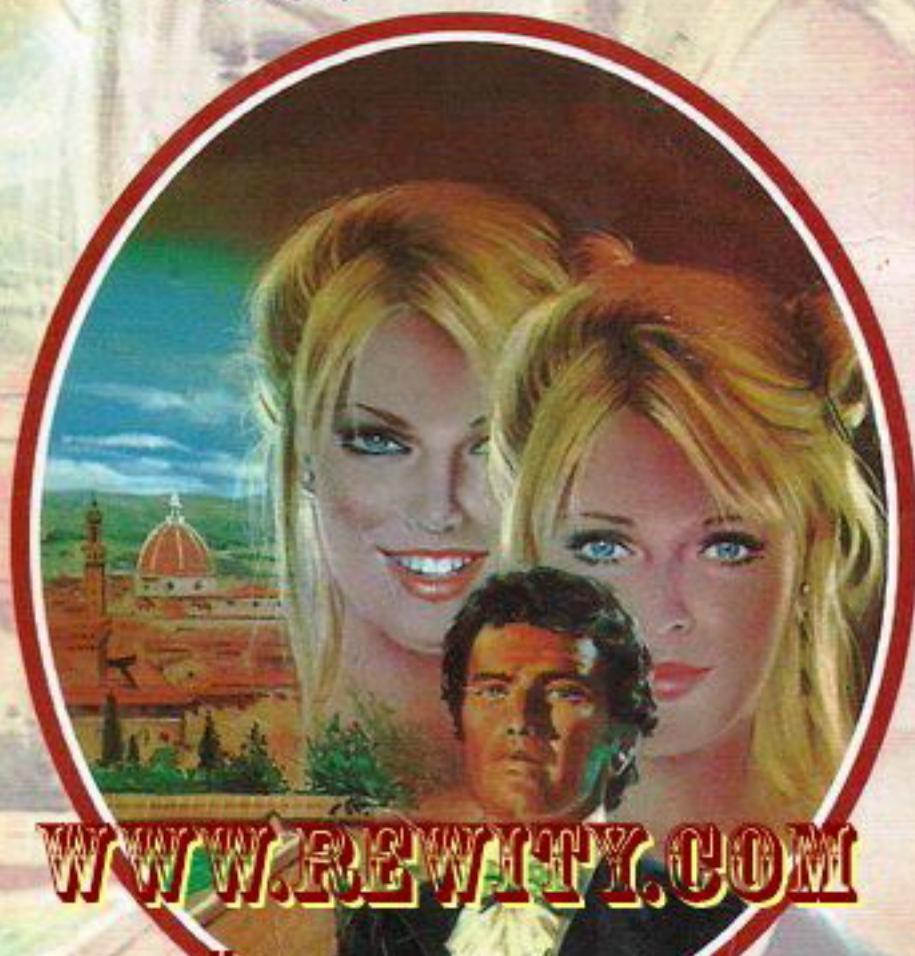


روايات عبير



الخدعة الكبرى



WWW.REWITY.COM

مزموريات

Barbara
LAMIRAY

Nº517

روايات عبير



قال جابريل بعد أن لحق بها :

- أنا أسف يا جيسي لقد كنت موجودة دائمًا بمساندتي ، وأنا كنت
أنا نبأ ، سامحيني :

- ليس هناك ما أسامحك عليه يا جاب ؟ لقد كنت على حق عندما
بحثت لي باسوارك . ألم تخلق الصداقات لذلك ؟
- أتعرفين يا جيسي كم انت فاتنة ؟

همسة :

- لمست أدربي .. إلك لم تحبني أبدا .
- لقد كنت دون شك مجنونا ولا زلت ..
- لا يا جاب .. أنت تعرف تماماً ما تفعله .. إلك لم تحضر إلى هنا
إلا للتحدى عن الذهب .

- بل أردت أن القضي بعض الوقت معك ، لقد أردت أن نتعارف لنفسينا
الفرصة للبداية من الصفر ..

ثمن النسخة

Canada	6 \$	ريال ٨	قطر	ل. ٢٠٠٠	لبنان
U.K.	2 £	بيسة ٧٥٠	مسقط	ل. ٦٠	سوريا
U.S.A.	4 \$	جنيه ٣	مصر	فلس ٧٥٠	الأردن
Greece	1500 Drs	درهم ١٥	المغرب	ريال ٨	السعودية
Cyprus	2 £	دينار ١	ليبيا	فلس ٦٠٠	الكويت
France	20 Fr	دينار ٢	تونس	درهم ٨	الإمارات
		ريال ٢٠٠	اليمن	فلس ٧٥٠	البحرين

الذهب بالطريقة القديمة عن طريق عربات تجرها البغال ويحرسها
جابريل ابن العائلة المنافسة والذي يعمل في مكتب التحقيقات المركزية
ويشك كل من جابريل وجيسي في الآخر في انه سينهب الذهب
حسب المعلومات التي لدى الشرطة . مغامرات رهيبة ستحدث
ومفاجات مذهلة في النهاية .

الغلاف الامامي

اندفع الامريكيون بكافة طوائفهم نحو الغرب عند اكتشاف الذهب في
جبال روكي . وحدثت صراعات بين العائلات المختلفة لاحتلال
الارضي في الجبال ، لم بدا الذهب ينعد . وبدا سكان الجبال يهاجرون
من الجبال القاسية ، ولم يبق هناك سوى عائلتين ظلتا تتشاهدان
بسبب وبدون سبب لمدة مائة عام

يهاجر الشاب الوحيد من إحدى العائلتين الذي اتم تعليمه الجامعي
ويهجر حبيبته الوحيدة الباقية من العائلة الثانية المنافسة ، وبعد عشر
سنوات تلعب المصايف دورها لجمع شملهما حيث قررت الحكومة
المراكزية الاحتفال بعيد هجمة الذهب بمناسبة مرور مائة عام على
اكتشاف اول منجم . وتقرر طلاء قبة مقر الحكومة بالذهب الذي
ستحضره من البلدة الجبلية والذي تملكه جيسي جيمس . وهي اخر
وارثة من عائلة جيمس . وتقرر ان يصاحب القافلة التي ستحضر

شخصيات الرواية

جيسي چيمس: آخر سلالة إحدى العائلات الرايدة في البحث عن الذهب في الغرب الأمريكي وسميت على اسم جدها الأكبر: أشهر زعيم عصابة نهب الذهب.

جابريل سان كلير: الشاب الوحيد المتعلم من العائلة المناسبة لعائلة جيسي والذى يعمل في مكتب التحقيقات الفيدرالية(المراكبة).

بين چونسون: رئيس جابريل في مكتب التحقيقات.

چوي سان كلير: ابن عم جابريل ومأمور الشرطة.

لوني شورت: مدير الفندق الوحيد في البلدة.

جين شورت: امرأة عجوز في السبعين تمتلك الفندق الذي يديره زوجها لوني.

الفصل الأول

- لقد علمت في التو واللحظة ياجاب ان قافلة من البغال محملة بالذهب ستتعرض للهجوم من عصابة خارجة على القانون، والمطلوب منك الآن مصاحبة القافلة على الجواد وطبعاً مدججاً بالسلاح.

تأمل جابريل سان كلير رئيسه في ذهول: كان الأخير رغم وجهه السمين وسنّه الصغيرة هو رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي في چورچيا. ذكره ياجاب - نحن يا بين في عام ١٩٩٥ ولم يعد ينقل الذهب في عربات تجرها البغال.

- إلا عندما يقرر المحافظ تكوين القافلة التي ستتحمل الذهب الذي سيستخدم لإعادة طلاء قبة مبنى الكابيتول.

- وهل هناك من سيهاجم القافلة؟ لا تقل إن الأمر جاد يا بين.

- إنه جاد ياجاب وأنت الذي ستسرّه على أن يصل الذهب سليماً إلى العاصمة واشنطن.

بعد أن قال بين جونسون ذلك وجد صعوبة في أن يكتم ابتسامته .
ساله جاب :
ولماذا أنا بالذات ؟

- لما كنت غير مستعد بعد لاستئناف عملك طوال الوقت قابلني أوكل إليك مهمة ستقودك بطريقة ما إلى مدینتك الأم أو لنقل : إنها في إجازة صغيرة - على نحو ما - وانا أسف ، ولكن يجب أن تودع المرضيات المنجبات اللاتي يدللتك .
- إجازة ..

إن جابي لا يريد العودة إلى "دهلونيجا" : إنه لم يعد إليها منذ أيام الجامعة عدا حضور دفن والده . لقد مرت أسابيع منذ خرج من المستشفى التي لم يحس فيه أثناء إقامته به أي مرضية انجذبت نحوه ، ومن ناحية أخرى فمنذ إنتهاء خطبته كان يخشى أن يتورط في علاقة عاطفية .

أجاب بين :
نعم . إجازة تصور عدة أيام تقضي فيها النهار فوق الجوار والليلي تحت النجوم اللامعة بعيداً عن ضغوط المدينة . أنت تجيد ركوب الخيل .. أم هل أنا مخطئ ؟

- بل أنت على حق . ولكن العربات تجرها البغال وليس الجبار .
وصدقني : إن قيادة هذه الحيوانات مسافة مئات الكيلو مترات ليست شيئاً من المتعة .

قال له بين يذكره :
- إنك لن تقود عربات تجرها البغال .. كل ما أطلبه منك أن تصحبها ،
والقافلة لها قائد فعلا .

ساله جابريل دون أن يريد حقاً معرفة الرد :

- وهل يمكنني أن أعرف من هو ؟
- إنها هي .. إنها شيطانة لها اسم حلو هو "جيسي چيمس" على ما أظن وأعتقد أن جدها نفسه كان من الباحثين عن الذهب .
نهض جاب مرة واحدة فرعاً قائلاً :
- "جيسي چيمس" هل تقصد ابني ساصاحب قافلة تحمل ذهبنا
نقودها "جيسي چيمس" مستحيل .. أنا أعرف تلك المرأة ..
أخذ بين يشرح له وهو يحاول الحفاظ على جديته .
- لقد أوصتني بك صديقة للمحافظة لهذا العمل لأنك أنت نفسك صديق لـ "جيسي" .
- أحقاً ما تقول ؟ كم أود أن أعرف من لعب على هذه اللعبة الفدرا ؟
- "ليس ماجadan" إنها مهتمة برعاية الملحق الخاص بالشردين من لا مأوى لهم بالقرب من مبنى الحكومة الأمريكية المعروف باسم "الكابيتول" . هنا نناقش موضوع القافلة في ذلك الصباح عندما ذكرت المحافظ أنت من "دهلونيجا" .
قال جاب وهو يشعر بالغبطة والمهانة .
- ومنذ متى كنتما أنت والمحافظ تناقضان أعمالك مع سيدة غريبة ؟
دهش بين وقال وهو يبتسم :
- غريبة ؟ هل أمكنك أن تعرف "ليس ماجadan" .
- نعم .. لقد كنت أذهب إلى المدرسة مع ابنتها .
- إذن لا بد أنت تعرف ما بينها وبين اختها "جين" وأنه لا يجري أي شيء في "الكابيتول" إلا وتعلمان به .
زمر جاب معتبراً عن استيائه ثم عاد للجلوس :
- لا تفعل بي ذلك يا بين .. ألم تسمع ما يقال عن "هانفيلد" و"ماكوي" ؟
إن الحرب التي أشعلوها لاتقارن بالحرب التي قامت بين "سان كلير"

وأَلْ جِيمِسَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ مَا نَفَتْ يَوْمَهُ عَامَ بِسَبَبِ قَطْعَةِ أَرْضٍ كَانَ يَنْتَازُ عَانِهَا
فِي جِبَلِ بَامْكَنْفَاهِينَ
كَانَ بَيْنَ لَأْيَزَالْ نَاظِرًا بِاسْتَغْرَاقٍ فِي مَلْفِ جَابَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ مَا
يُوحِي بِإِنَّهُ يَعْرُفُ أَكْثَرَ عَنِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ جَابَ وَجِيَسِيَ

- إِنْ سَامُورْ مَقَاطِعَةً لَوْمَجَكِنْ يَعْرُفُ مِنْ مَصْدَرٍ مُؤْنَوْقَ أَنَّ الْقَافَلَةَ
سَتَتَعَرَّضُ لِلْهَجُومِ، وَلَا كَنْتُ تَعْرِفُ النَّاسَ الْمُشَرِّكِينَ فِي الْقَافَلَةِ؛ فَإِنَّهُ
يُوَافِقُ عَلَى تَكْلِيفِكَ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ.

عَقَدَ جَابَ ذَرَاعِيهِ عَلَى صَدْرِهِ وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِ الْإِمْتَاعُ، ثُمَّ نَكَسَ
رَاسَهُ وَنَظَرَ إِلَى كَنْفِهِ الَّتِي كَانَتْ لَأْيَزَالْ تَحْمِلُ آثارَ الْجَرْحِ الَّذِي تَسَبَّبَ
مِنْ رَصَاصَةِ اسْتَقْرَرَتْ فِيهَا لَدْدَهُ أَسْبَوْعَ مَا اضْطَرَرَهُ إِلَى الْحَصُولِ عَلَى
إِجَازَةِ إِجْبَارِيَّةٍ. قَالَ فَجَاهَةً بَحْدَةً :

- إِنِّي أَرْفَضُ، وَأَفْضُلُ أَنْ أَحْصِلَ عَلَى إِجَازَةٍ.
قَاطَعَهُ بَيْنَ :

- لَقَدْ فَاتَ الْوَقْتُ؛ لَقَدْ أَخْبَرَتِ الْمَحَافَظَ أَنَّكَ قَبْلَتِ
اللَّعْنَةَ؛ وَلَكِنَّ مَاذَا كَلَ هَذِهِ الْضَّجَّةَ؟ هَلْ هَذِهِ الْقَافَلَةَ تَنَقَّلُ شَيْئًا
سَوْيَ الْذَّهَبِ؟
أَجَابَهُ بَيْنَ .

- فِي إِحْدَى الْعَرِبَاتِ يَوْجِدُ مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسَةِ الْأَفِ دُولَارَ.
- وَمَاذَا لَمْ تَنَقَّلْ بِسَيَارَةٍ شَرِطةً أَوْ سَيَارَةً مَصْفَحةً؟
- فِي الْحَقِيقَةِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرْسِلَ شَاحَنَةً مَصْفَحةً، وَلَكِنَّ نَقْلَ الْذَّهَبِ
إِلَى الْكَابِيَّتُولَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ عَمْلَيَّةٌ رَمْزَيَّةٌ؛ إِنَّا نَحْتَفِلُ بِذَلِكَ بِالْعَيْدِ
السَّنِويِّ لِلْهَجَمَةِ لِلْبَحْثِ عَنِ الْذَّهَبِ فَلَا تَنْسِ ذَلِكَ وَلَهُذَا الْهَدْفُ أَرَدَنَا
إِسْتِنْجَارَ عَرِبَاتٍ تَجْرِيَ الْبَغَالَ
فَهُمْ جَابِرِيلَ أَنَّ رَئِيسَهُ لَنْ يَغْيِرَ رَأِيهِ، وَالْحُكُومَةَ تَقْدِرُ- دُونَ شَكِ-

أَنَّهَا سَتَحْتَلُ بِدَعَائِيَّةِ كَبْرِيِّيِّ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ، وَتَصْوِرُ بَيْنَ أَنْ حَرَاسَةَ
قَافَلَةِ تَحْمِلُ نَهْبَهَا وَتَجْرِيَ الْبَغَالَ لِتَمْثِيلَ الشَّابِ الَّذِي يَقْضِي فَتَرَةَ
نَفَاهَتِهِ سَوْيَ نَزَهَةٍ ظَرِيفَةً وَصَحِيَّةً.

إِنَّهَا فَعَلَ نَزَهَةَ صَحِيَّةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَهْمَةَ لَيْسَتْ هِيَ التِّي تَضَاءِقُ
جَابَ وَإِنَّمَا جِيَسِيَ :

إِنَّ جِيَسِيَ جِيمِسَ هِيَ الْجَسَارَةُ مَجَسَّدَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ غَلَطَةُ جَدَهَا
الْأَيْسِتُونَ الَّذِي مَلَأَ عَقْلَهَا بِحَكَائِيَّاتِ جِيَسِيَ جِيمِسَ الْخَارِجَ عَنِ
الْقَانُونِ الشَّهِيرِ، وَالَّتِي تَحَاوِلُ مِنْ وَقْتِهَا أَنْ تَحْذُوْ حَذْوَهُ. إِنَّ جَابَ
يَتَذَكَّرُ صِدَاقَتِهِمَا مِنْذُ الطَّفُولَةِ مِنْ الْمُؤْكَدِ أَنَّهَا لَمْ تَلْعَبْ دُورَ الْمُتَمَرِّدَةِ
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ دَائِمًا مُشَغَّلَةً بِتَطْبِيقِ قَوَاعِدِهَا؛ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ
فِيهِ الْفَتَيَاتِ يَقْعُنُ فِي حَبِّ نَجُومِ السَّينِمَا أَوْ مَطْرِبِ الرُّوكِ كَانَتْ
جيَسِيَ إِمَامًا تَزَاوِلُ الصَّيدِ أَوِ الْقَنْصِ، وَانتَهَى الْأَمْرُ بِهَا أَنْ أَصْبَحَتْ
رَفِيقَةَ اللَّعْبِ لَوَالَّدَهَا حَتَّى إِنَّهَا تَعْرَضَتْ لِلْقِبْضِ عَلَيْهَا لِأَرْتَكَابِهَا
أَعْمَالَ الشَّغْبِ وَالاضْطَرَابَاتِ عَنْدَمَا كَانَ وَالَّدُهَا يَخْسِرُ فِي الْبُوكِرِ
وَيَبْدُو غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى سَدادِ دِيُونِهِ.

أَغْلَقَ بَيْنَ مَلْفِ جَابَ بِحَرْكَةٍ عَنِيفَةً:
- أَنْتَ لَمْ تَعُدَ إِلَى نَهْلُونِيَّا مِنْذَ أَنَّ التَّحْقِيقَتِ بِوْكَالَةِ التَّحْقِيقَاتِ
الْفِيدِرَالِيَّةِ. الْيَسْ كَذَلِكَ؟

- بِالْضَّبْطِ؛ إِنَّ الْسَّانَ كَلِيرَ الَّذِينَ اِنْتَمَيُ إِلَيْهِمْ لَمْ يَتَبَعَوْ الْقَانُونَ
حَرْفِيًّا كَمَا تَعْلَمُ، وَأَنَا لَمْ أَرِدْ أَنْ أَضْطُرَ إِلَى الْقِبْضِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ
عُمُومِيِّ الْبَالِغِ عَدْدَهُمُ الَّذِينَ وَارْبَعِينَ مِنْ أَجْلِ السَّطْوِ أوِ الْقَمَارِ المُنْتَوِعِ
فِي تَلْكَ الْمَنْطَقَةِ يَتَمَسَّكُ افْرَادُ العَائِلَةِ الْوَاحِدَةِ بِتَطْبِيقِ التَّقَالِيدِ
بِطَرِيقَةٍ وَحْشِيَّةٍ وَيَظْلَمُونَ عَلَى إِلَيْنَسِيِّ أَحَدُهُمْ ذَلِكَ
سَالَهُ بَيْنَ فِي دَهْشَةٍ:

ارسل احد ممثليه ليضمن حسن سير الرحلة

ز مجر جاب :

- إن لو انتي فهمت جيدا قصدك فإنك تجعلني أمثل دور كليبنت
ايستوود للسهر على فرقة من المستحدثين والجدد المكلفين بقيادة قافلة
من السيارات المتوجهة إلى العاصمة على الطريق السريع ، وبعدها
تحذنني عن إجازة !

- هي في الحقيقة سيارة واحدة فقط بينما بقية العربات ستكون
عادية : إنها هدية من ولاية بنسلفانيا للاحتفال بالعيد المئوي يا جاب
وانا واثق بأنك ستتصرف في الموضوع بنجاح، ولا نفس انك ستكون
هناك لتحمي الذهب وليس للتسلية . نهض جاب وهو يتساءل عن
يمكن أن يفكر في التسلية ؟ على جابريل سان كلير أن يعمل إن
كان الملك الحارس على الخارجة عن القانون التي لم تنجب الأرض
مثلها- الا وهي- جيسي جيمس .

لم تميز جيسي سوى خيال الرجل المرتدي قبعة رعاء البقر والذي
هبط من سيارته ثم عبر المشرب والملهي البري وهو يشق طريقه وسط
المواطن .

وعندما وصل إلى البو فيه الذي يقدم المشروبات مال على مائدة
الحساب المغطاة بالنحاس وانتظر . سرت همهمة طويلة ومرت دقيقة
انتظار مؤلمة على القادم ثم نادى
- الا يوجد أحد ؟

كانت نبرة صوته عميقة وساخنة وناعمة كخشب الأكاجو . تسارع
نبض المرأة في الحال وأحسست بصدرها يضيق وأنفاسها تتلاحم
وشفتها تجفان .

- ١٣ -

- هل عندك اثنان وأربعون ابن عم؟

- لا بالتأكيد ولكن هذا تعبير مستخدمه نحن أهل الجبال لشرح أن
أي قطعة يتم الحصول عليها ربما يعزى مظهرها إلى الأسرة إذا ما
خدم مصالحها وهذا دليل على اتحاد جميع أفراد الأسرة في الشر قبل
الخير .

قال بين وقد شعر بالإرتياح وكتم ابتسامته:

- آه .. فهمت .. إنني أتوقع منك أن تحارب اللصوص لأن تدافع
عن أسرتك .

قال جاب بالتحديد :

- ليس عندي سوى عم واحد هناك وكذلك ثلاثة من أبناء العم، وما
لم يكن العم باك قد قرر الاشتراك في الهجوم على القافلة الذهبية فإننا
يمكن أن نهذا .

- لقد جعلتهم يعرفون في دهلونجا أنك لست عضوا في مكتب
التحقيقات المركزية يا جاب .

رد جاب :

- فعلا .. منذ أن دخلت في الخدمة معكم تجنبت لاقصى حد أن أعود
إلى مقاطعة لومبكن . هل هناك أي مشكلة في ذلك؟

- لا على الإطلاق . في الحقيقة اعتقاد أنه يجب علي أن أخبر السيدة
جيسيس أنك أرسلت من قبل وزير الدولة كعميل اتصال .

- إن عدم الصراحة مع جيسي قد يكلفنا الكثير يا بين . - ربما-
ولكن لو أن اللصوص يجهلون أنك تمثل القانون فإنهم لن يشكوا في
شيء عارضه جاب قائلا :

- ولكنهم ربما يرتابون عندما يشاهدون قدوم غريب .
- لا على الإطلاق . إن الصحف المحلية أعلنت بالفعل : أن المحافظ قد

- ١٢ -

كان شعرها الاسود الابنوسى الطويل يلمع مثل المخمل الحرير وله بريق الصيني ، أما عن عينيها فقد بدت شديدة تى السواد مثل ريش الغراب وقد تدل على من وسطها سكين الصيد ، وأمسكت يدها مسدس ماجنام ٣٥٧ . أفاق جابريل على الحقيقة الماثلة امامه : إنها چيسى چيمس الرهيبة .

انطلق فجأة صوت ناثان وهو يبرز رأسه من بين الباب الموارب
- هل ناديت علي يا چيسى ؟
ردت عليه بصوت خشن
- لا يا ناثان .. إنني فقط اقول لهذا السعيد ببساطة : إن الله لم يفتح أبوابه بعد .

قال جابريل بلهجة محددة
- لست هنا كي اشرب شيئا . أنا هنا في مهمة رسمية
فكرة في نفسه ، إن چيسى لم تتغير بعد : إنها لا تزال ترفع رأسها في كثيرة وتتحدى اي قادم جديد ولكن يوجد شيء اخر : عمق غريب يبدو انه يتعدد بداخلها لم يسبق ان لاحظه عليها من قبل لقد أصبحت چيسى نسخة حقيقة من چيسى چيمس وان مجرد رؤيتها لأحد افراد عائلة سان كلير يجعل شعرها يقف . لم يكن جابريل ليتوقع ذلك . عليه الان ان يلجا إلى الدبلوماسية . كررت متسائلة :
- مهمة رسمية؟ هل يمكن ان تفسر لي ذلك؟

- إن المحافظ ارسلني لأمثله في القافلة التي يجب ان تصل حالا إلى مبني الكابيتول في العاصمة . اعرف ان ذلك لن يكون سهلا يا چيسى . ولكنني خلال أسبوع سارجع ويمكنك ان تفعلي ما يحلو لك وكانتني غير موجود ، بشرط ان تنسى ما حدث في الماضي .

لقد رأت چيسى الكثير في ملهاها المقام على الطريق البري والذي سمعته قراب الذهب . ومع ذلك لم يسبق لها ان رأت شخصا مثل هذا القادم يثق في نفسه لهذه الدرجة بحذائه البوت الخاص برعاة البقر وبنطلونه الجينز . قال بالاحاج وقد رفع صوته :
- من فضلك .

كانت چيسى واقفة على الطرف الآخر من مائدة الحساب في نهاية القاعة وهي تهمهم في ضيق وغضب ، واخذت تبحث بعينيها عن ناثان الرجل العجوز المسؤول عن تقديم المشروبات عند البو فيه ، وكل مرة عندما تحتاج إليه يختفي بقدرة قادر . فكرت في نفسها : إنه من المستحيل ان تهرب .. لقد حاصرها ماضيها ، انتصبت إذن في وقوتها وأخذت نفسا عميقا ، إن ملهاها يكفيها للحصول على لقمة العيش بصحوبة وهي تعرف ان إرضاء الزبائن مهم جدا واساسي حتى ولو كانت الخدمة مطلوبة قبل ساعة الافتتاح ولكن على آية حال ما الذي تخشاه ؟ اليست هي چيسى چيمس ؟

تضارب جابريل سان كلير . واحد يطرق سطح المائدة المعدني وهو يتساءل عما فعله من شرف في ذياب حتى يستحق ما يحدث له . أن يقبل مهمة سرية امر يمكن ان يتحمله ، أما ان يجد نفسه مجبرا على العودة إلى بلدته الام ليواجه عمه وچيسى ، فإن ذلك دون شك امر لا يتحمل فجأة رأها تتجه كالجنية وفي الحال تصلب جسده بالغريزة . قالت له :

- أنا أسف يا سيدي ولكن الله لم يفتح أبوابه بعد ، وإذا سمحت ارجو أن تعود فيما بعد .

كانت ترتدي قميصا رجاليا اكبر من حجمها ثلاثة مرات فوق عفريته عمال بلون كاكى مثل ملابس التدريب في الجيش وحذاء كرة

فجاة هي ريح الذكريات على ذهن جيسي :

البحيرة، ونيران الخشب ، والعبارات الغرامية الملتهبة

و... الحزن والشجن الذي غمرها بعد ظهر يوم من أيام الخريف عندما
حطم جابريل بكلمات بسيطة أحلامها .

لقد اعتقدت أنها نسيت . إنها لاتريد ان تذكر إنها لن تفعل . رفعت
عينيها بشجاعة نحو وجه جابريل وظلت عيناه تحدها طويلا .

دفع جاب بيده قبعة رعاة البقر قليلا للخلف ، وكشف هكذا عن
وجهه الذي تتذكره من أيام المدرسة .

قالت بحدة . ثم ندمت على كلامها :

-ذهب بلا رجعة يا جابريل .

ضيبلت في عصبية المشبك الذي يربط ضفيرة شعرها التي على شكل
ذيل الحصان ، واعادت بعض الخصلات التي تمررت إلى مكانها وسط
الضفيرة . ثم نظرت إلى محدثها وكانها تطلب منه تفسيرا .

قال جابريل وهو ينطق كل كلمة على حدة ويبتسم :

-إنني لن أكون سوى ملاك الحارس حتى أحميك أنت والذهب .
أخذت شفتا الفتاة الشابة الممتلئتان ترتجفان غضبا :

-يجب أن تغير اسمك إلى الشيطان بدلا من الملاك جابريل . لقد
كنت من عشر سنوات لصاً وأنا على استعداد أن أراهن أنك لازلت لصاً
إذن ماذا تفعل هنا ؟

كيف يستطيع أن يشرح لها ؟ إنها على حق وماذا يكون رده على
سؤالها، لقد سرق منها أغلى ما كان لديها : براعتها وثقتها في الناس .

وهي لم تنس بعد ولا هو نسي كذلك . قال محتجا :

-لقد كان ذلك من عشر سنوات وكنت مجرد صبي في الثانية
والعشرين فقط من عمري .

ردت عليه للتذكرة :

- وانا لم اتجاوز الثامنة عشرة وقتها . أنت الآن رجل عجوز ويمكتك
ان تقول لا لوني وجيسي إنني لست في حاجة لشيء ولا شخص
- اعرف انك تستطعين التصرف بمفردك . ولكنني اسف لأنني
لا اعرف لا لوني ، ولا جيسي .

إن هذه المهمة اوكلت إلي من المحافظ شخصيا .
لقد كلفت بان اصحاب جيسي جيسي والذهب حتى مبني
التابيتول .

قالت متهمكة :

- طبعا الملاك جابريل لا يتلقى اوامر إلا من أعلى المستويات .
- إنها ليست مزحة يا جيسي وصدقني لو استطعت رفض هذه
المهمة لما ترددت : أنا استحق عتابك ولو مك ولو مك ان تظهرني بهذه
الموارة أمامي .

- مراة ؟ قد اكون غاضبة ، وأرغب بجنون أن أراك ترحل في اسرع
وقت ممكن عائدا إلى حيث كنت، رأته جيسي يبتسم في تهم . إنه
يبدو اليوم كابطال الرياضة أكثر بكثير عن الماضي ، وأكثر رشاقة .
كان شعره الاشقر قد زاد عمقا ، وهو يعكس أشعة الشمس تماما كما
كان يسبح في البحيرة في كل صيف ومع ذلك ظلت عيناه تسحرانها :
كان لونهما زرقاء وكانت مغناطيسبيتما تخترقانها وتدفعانها إلى
بذل المستحيل لأن ثبت له أنها لا تحلم بجانبيته . ورغم جهود
جيسي إلا أنها اعترفت بأنها لم تعد تحقد عليه ثم قالت :

- حسنا أيها الحقير .. أنت تقدم لي مساعدتك وأنا لا أقبلها .
وضع جاب بحركة جافة حذاءه البوت على الماسورة الفخاسية
التي تحيط أسفل البو فيه ، واحتفت بابتسامته .

- جيسي و جابريل . رائع :

لقد حدث في وقت ما أن كان هذا رأي جيسي أيضا حينما كانت تنسلي بحفر أسمى جيسي و جاب على شكل عقد على كل كتاب من كتب المدرسة . كان ذلك قبل أن يبدأ أصدقاء جاب في التذر عليه وعلى انجذابه إليها وقبل أن يقع في حب لورا ريدنچ . اختار ناثان هذه اللحظة ليضيء الأنوار ، وكسرت أضواء النيون المبهرة حدة الجو الحميم وذكريات الماضي التي سادت الملهى واشتغل الصندوق الموسيقي من ذاته ينشر أغنية لـ ناثانيا تاكر . وسارعت جيسي لتسكته .

اما عن جابريل فقد هز راسه غير مصدق وقال :

- ملاك؟ لا اعتقاد هذا يا سيدتي الصغيرة ، ولكن ربما لديك نصيحة ت Siddinها إلي : لأنك عندما يسافر المرء مع جيسي جيمس لا يعرف أبدا إن كان سيدهب إلى الجحيم أم إلى الفردوس؟

- إنهم يرفعون أجري يا جيسي لا رافقك على صهوة الجواد ، خوفا إلا تفقد الذهب في الطريق .

تجمدت المرأة عند سماعها تلك العبارات . لم يكن مجھولا أن زعيم العصابة الشهير في الماضي عرف عنه فقد الذهب .

قالت له تذكره بصوت مت汐رج يعرفه جيدا :

- إن ذهب ال جيمس محفوظ في خزانة في بنك في دهلونيجا منذ أكثر من أربعين عاما .

ولن اسمع أبدا بأن يتسرّب ومن باب أولى لن اسمح لأي أفراد عائلة سان كلير بأن يضع يده عليه .

- هل لايزال هناك ياعزيزتي جيسي؟

صدر ذلك الاستفسار من سيدة ضئيلة في السبعين من عمرها وقد ارتدت حلقة راقصة من الغرب والتي استمرت في الحديث قائلة :

- لقد رأى لوني راعي بقر ضخما ووحيدا يسأل المامور أين أنت؟ إذا كان هذا هو رجل المحافظ فلا بد أنه الرجل الذي وصفه لك الطبيب .

- ربما كان هذا ما وصفه لي الطبيب يا جين ، ولكن لن أقبل أن يصحبني واحد من سان كلير حتى لو تجمد البحر .

بدت جين مبهوتة وقالت :

- أوه . و ليس تجده رائعا . وقد أخبرتني أوراق التنجم أن واحدا من الخارجين على قانون س مقابل ملاكا . ولكن هل قلت إنه من آل سان كلير؟

تقدمت جين من البوفيه ولتحت جابريل فتوقفت :

- مرحبا - أنا أعرفه جيدا . لو أن جيسي هي الخارجة على القانون فلا بد إذن الملاك ... ما اسمك؟

- جابريل سان كلير .

الإحساس الغريب بأنه لم يعد يسيطر على الموقف
استغرق في أفكاره ومر أمام محل الحبوب القديم واتجه نحو مكتب
المأمور

منذ الأزل والـ **سان كلير** والـ **جيمس** يعيشون اليوم بيومه،
ويعتبرون وجودهم من صنع الله ، وانهم غير مسؤولين عما يحدث
منهم .

ولم يعر احد في البلدة العائلتين ادنى اهتمام إلى اليوم الذي
اصبح فيه **جابريل** الظهير اليمين لفريق كرة القدم . فجأة اهتم
الجميع بما فيهم الحسناء **لورا ريدنچ** . ومن وقتها لم يعد ذلك التافه
التازج من الجبال ، ووجد **جاب** ان جميع دوائر الأولاد المرموقين في
المدينة بدأت تنتفتح أمامه؛ وبناء عليه لم يعد يرغب في ان تحمل
جيسي لافتة أنها الصديقة الرسمية لـ **جابريل سان كلير**، واليوم
يشعر بالعار حتى الان من الطريقة التي عاملها بها امام علاقاته
الجديدة ، ومع ذلك لم تحمل له الشابة اي ضغائن رغم انفصالهما
وصارت شيئاً فشيئاً متباudeة ، وهي تنتظر ان يعود **جاب** من تلقاء
نفسه إليها . إلى ان جاء ذلك الصيف الشهير الذي أهملته فيه **لورا**
من أجل طالب جديد في كلية الحقوق . انتخب والده عمدة من وقت
 قريب

وبعد ان أنهى **جاب** دراسته كف عن ان يكون عضواً في فريق كرة
القدم ، وقد في نفس الوقت أصدقاءه الذين -من وقتها- لم يعيروه اي
انتباe بعد ان فقد أهميته . إلا انه عاد فتى **جبل بامكتفain** ، وأنه
لامكان له إلا بين أهل الجبال وليس له اي مكان في اي جهة ، إلا بالقرب
من **جيسي** . رأى **جابريل** الشابة جالسة عند مسقط المياه وهي
تداعب قدميها العاريتين . واخذت تستمع إليه وهو يقص عليها الخليفة

الفصل الثاني

غزا سياح السبت كل الأرصفة من **القرميد** الأحمر الواسعة وهم
يدخلون ويخرجون من المحلات القديمة المعدلة والمزدحمة والمحبطة
بميدان المحكمة القديمة والتي تحولت الآن إلى متحف للذهب .
لقد وقعت احداث كثيرة منذ ان ترك **جابريل** **نهلونيجا** وذكر انه لا
يوجد مدينة في مثل ازدهارها وحركتها النشطة ، ولم يذكر في يوم من
الايات انه تسکع في شوارع البلدة دون ان يلتقي بشخص يعرفه .
والاليوم يهنى نفسه لأنه يسير دون ان يتعرف عليه أحد لانه يريد ان
يكون بمفرده وأن يفكر في هدوء .

لقد أدى لقاءه ثانية مع **جيسي** إلى اضطرابه وأعاد التساؤل
والخوف على حياته المنتظمة الجميلة .
إن **جاب** لا يستطيع ان يقول الا انهم أصبحوا عدوين .
إنه لا يعرف بالضبط ماذا أصبحا في الحقيقة وهو يكره ذلك

لها : كان مراهقا يشارك أدق أسراره الخاصة مع فتاة صبية
 أصبحت مصدر تهم أصدقائه بلا شفقة . أم هل أساء استخدام
 براءتها ؟
 كان المأمور جالسا في مكتبه وهو يلف فوق مقعده الدوار عندما لمح
 جابريل يدخل . قال :
 - يومك سعيد يا جاب يسعدني أن أراك هنا وآسف لأنني أهملتك
 في المرة السابقة
 - چوي ؟ چوي سان كلير ؟ هل أنت المأمور ؟
 أجا به الرجل :
 - إيه .. نعم أعطني سببا الا يكون واحدا من آل سان كلير يمثل
 القانون .
 قال جاب متعرقا :
 - لست أثيري حقا . كل ما هناك أنتي دهشت .
 - أنت دهشت لأن أحد أفراد الأسرة التي انتجت أكثر من زعيم
 عصابة ومقامرين يفوق عددهم المعقول وان المواطنين الشرفاء في
 المدينة يمكنهم نسيان ماضيهم المشبوه وأن يستطيعوا أن يتزموا
 الطريق القويم .
 - لا على الإطلاق .. حسنا .. إنني أود ان أقول: إنني لا أعرف ماذا
 أقول ؟
 كان جاب مذهشا فعلا: كان چوي من بين أبناء عمه الثلاثة
 الوحيد الذي يبدو أقل استعدادا في يوم ما أن يبدأ حياة شريفة
 وجديدة خاصة في خدمة القانون .
 - لقد كنت أجهل أنهم انتخبوك عمدة .
 - وأنا لم أكن أعرف أنك في مكتب التحقيقات المركزي . وعندما اتصل

الكبri التي أصابته ومن حين لآخر كانت ترفع له عينيها نظرة سوداء
 أسفه ، وفي المساء أقاما نارا من الخشب لطرد الناموس . وامتدت
 السنة الدخان فوق سطح الماء استمعت إليه چيسى وهو يعبر عن
 مخاوفه ورغباته المتناقضة والمحبطة والعار الذي يحس به من غياب
 الطموح في عائلته وعن عزمه أن يبتعد باسرع ما يمكن عن بامكناين
 واستمعت إليه وقالت له: إنها متفهمة لسبب رغبته في الرحيل .
 كل ذلك وهي نفسها تعرف أنها لن تستطيع أن تشعر بالسعادة في
 أي مكان بعيد عن دهلونجا .

ثم في مساء يوم ما وسط رغبة وحاجة ملحة إلى المساعدة ترك نفسه
 يسند رأسه على ساقى چيسى وهو يتصور أنها لورا: لقد كانت
 دائمًا چيسى تستجيب لحبه في الوقت الذي كانت فيه لورا تبعد
 عنه وتصده شيئاً فشيئاً .

حاولت چيسى أن تقترب منه كحبية ولكنه كان يعتبرها صديقته
 وعندما عبرت له عن حبها صدما بقصوّة ، الامر الذي جعلها تضطر布
 رأسا على عقب وتحس بالرعب والمهانة، وفي اليوم التالي من تلك
 المواجهة غادر جاب البلدة والمنطقة وقد ادهشه ان يدرك انه يندم على
 چيسى وليس على لورا !

بعد ذلك لم يعد إلى دهلونجا إلا عندما اضطرته ظروف عائلية
 ملحة لذلك ، وكان من حين لآخر يرى چيسى ، ولكنه لم يحاول أبدا أن
 يقابلها .

إن چيسى تذكره بالجبال والجبال لا توحى إلا بالشجن ، وعليه فهم
 جاب أنه يعيّب على چيسى شيئاً لن تستطيع أبداً أن تغيره أو
 بمعنى أصح لا ترغب في أن تغيره كان يعرف أنه استغلها لتخل محل
 الفتاة التي كان يحبها والأسوأ من ذلك أنه أخفى عن الجميع صداقته

- نعم .. أنا الذي رد على المكالمة التليفونية وكان رجل على الطرف الآخر من الخط يخبرني أن هناك نية لسرقة الذهب ، وحدد أنه يحضرنا فقط حتى لا يجد المسؤولون بمظهر مثير للسخرية.

- رجل؟

- نعم .. هذا ما اعتدته لأن الصوت كان متخفيا ، وعلى أية حال يمكن أن يكون صوت امرأة متخفية، ولكن الوحيدة التي لديها الجرأة أن تفعل ذلك هي

اكمـل جـاب العـبـارـة بـدـلاـ منـ المـامـورـ جـويـ :

- جـيـسيـ جـيمـسـ . لا تقل إنـكـ تـعـتـقـدـ أنـ جـيـسيـ هيـ الـتـيـ تـدـبـرـ حـادـثـ السـطـوـ ؟

- لا .. إنـهـ لاـ تـفـاءـلـ بـتـلـوـيـثـ اـسـمـ العـائـلـةـ .. عـائـلـتـهـ .. وـمـعـ ذـكـلـ النـاسـ يـعـرـفـونـ إـلـىـ أيـ مـدـىـ هـيـ فـيـ حاجـةـ إـلـىـ النقـودـ . - ولـماـذاـ هيـ فـيـ حاجـةـ مـاسـةـ إـلـىـ النقـودـ ؟ لـقـدـ كـنـتـ اـعـتـقـدـ أـنـ مـلـهـاـ نـاجـعـ .

- نـعـمـ وـلـكـنـهاـ رـهـنـتـ أـخـرـ قـطـعـةـ أـرـضـ حـتـىـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـوـفـرـ ثـمـنـ شـرـاءـ المـلـهـيـ ، وـكـلـ مـاـ لـدـيـهاـ الـآنـ اـسـتـخـدـمـتـهـ فـيـ إـعـاـدـةـ دـيـكـورـ المـلـهـيـ ، وـالـآنـ هـيـ بـالـتـاكـيدـ مـديـنـةـ وـلـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـسـوـىـ اـقـسـاطـهـ .

- وـمـنـ فـيـ رـأـيـهـ هـيـ مـنـ الـذـيـ قـامـ بـالـاتـصـالـ التـلـيـفـوـنـيـ ؟ اـنـفـجـرـ المـامـورـ فـيـ ضـحـكـةـ صـاخـبـةـ قـبـلـ أـنـ يـخـرـجـ سـيـجـارـاـ مـنـ جـيـبـهـ وـيـقـضـمـ طـرفـهـ وـقـالـ :

- واحدـ مـنـ الـسـانـ كـلـيرـ طـبـعاـ . أـنـ تـعـرـفـ تـامـاـ مـاـ يـحـدـثـ بـيـ عـائـلـاتـ الـبـلـدـةـ . فـيـ كـلـ مـرـةـ يـحـدـثـ فـيـهـ اـمـرـ مـاـ يـتـهـمـ كـلـ مـنـ الـآخـرـ . - وـلـكـنـ لـمـاـذـاـ يـرـغـبـ أـحـدـ اـفـرـادـ عـائـلـةـ سـانـ كـلـيرـ فـيـ مـهـاجـمـةـ تـلـكـ القـافـلـةـ ؟

بيـ رـئـيسـكـ وـطـلـبـ مـنـاـ أـنـ نـبـقـيـ عـلـىـ سـرـ مـهـنـتـكـ ضـحـكـنـاـ جـداـ هـلـ رـأـيـتـ العـمـ بـاـكـ ؟

- لـاـ لـقـدـ وـصـلـتـ الـآنـ .

- اـذـهـبـ لـتـرـاهـ يـاـ جـابـ أـنـتـ تـعـلـمـ أـنـهـ مـشـتـاقـ ذـلـكـ كـثـيرـاـ .

صـحـ جـابـ :

- إـنـهـ يـشـتـاقـ لـأـمـوـالـيـ .

اعـتـرـفـ جـويـ :

- رـبـماـ أـنـتـ عـلـىـ حـقـ . صـحـيـحـ : إـنـهـ لـاـ يـفـوتـ فـرـصـةـ إـلـاـ وـيـسـتـغـلـهـ خـيرـ استـغـلالـ مـنـ الـيـمـينـ وـمـنـ الشـمـالـ وـلـكـنـيـ رـغـمـ كـلـ شـيـءـ اـعـتـقـدـ أـنـهـ سـيـسـعـدـ بـرـؤـيـاـكـ .

لـقـدـ أـصـبـحـ عـجـوزـاـ الـآنـ ، وـلـاـ يـسـتـسـعـ فـكـرـةـ أـنـ يـتـرـكـ الـفـرـادـ الـأـسـرـةـ الـجـبـالـ شـبـيـثـاـ فـشـيـثـاـ لـيـسـتـقـرـواـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ . أـنـتـ تـعـرـفـ إـنـهـ لـاـ يـحـبـ التـغـيـرـ وـلـاـ الـمـسـتـحـدـنـاتـ .

- اـعـرـفـ ذـلـكـ . إـنـهـ يـسـتـطـعـ بـضـرـبـةـ رـاـسـ أـنـ يـصـرـعـ مـنـ يـضـايـقـهـ وـلـوـ قـلـيلـاـ وـمـاـذـاـ عـنـ وـالـتـرـ وـرـالـفـ ؟

- إـنـ رـالـفـ يـعـمـلـ فـيـ مـطـعـمـ وـمـلـهـيـ كـاتـرـزـ فـيـلـ . وـنـوـالـتـرـ يـمـتـلـكـ دـائـماـ مـرـزـعـةـ جـيمـسـ . وـلـكـنـيـ اـعـتـقـدـ أـنـهـ يـفـكـرـ فـيـ بـيـعـ أـمـلـاـكـ .

سـالـ جـابـرـيـلـ :

- هلـ تـزـوـجاـ ؟

- نـعـمـ وـاـنـاـ ذـلـكـ ، وـمـاـذـاـ عـنـكـ يـاـ جـابـرـيـلـ ؟

- لـازـلتـ أـعـزـبـ ، وـأـعـمـلـ كـثـيـراـ حـتـىـ لـاـ اـفـكـرـ فـيـ الزـوـاجـ . رـغـبـ فـيـ إـخـفـاءـ خـيـبـةـ أـمـلـهـ أـمـامـ التـغـيـرـ فـيـ مـسـلـكـ الـسـانـ كـلـيرـ . فـحـولـ الـمـحـادـثـةـ مـوـضـعـ آخـرـ :

- بـمـنـاسـيـةـ الـذـهـبـ هـلـ هـنـاكـ تـهـدـيـدـ حـقاـ ؟

الجانب الآخر من الشارع وفي مواجهة الملهى
بعد رحيل چين توجه نحو السيارة الجيب ليأخذ منها حقيبة
السفر ، شرد في أفكاره واعترف أنه رغم استعداده لتلك اللحظة وهي
مقابلة چيسى فإن تلك المقابلة سببت له اضطرابا عميقا: إن الزمن لم
يقطع العلاقة التي كانت بينهما ، بل بالعكس زادها قوة : واليوم
يتطلب الأمر من جاب استجمام كل قواه لينسى كل تلك السنوات التي
قضياها معا على ضفة البحيرة يتداولان الغرام .
ففي سن الثامنة عشرة كان جابريل قد فضل - بعد الخلافات التي
وقعت بين عائليهما - أن يرفض حب چيسى الذي تقدم له بكل براءة ،
ثم بعد أربع سنوات هي التي دفعته إلى الرحيل بحيث لا يعود أبدا .
وقفت چيسى على المسرح تسمع باذان شاردة الموسيقيين وهم
يضيّطون الألهم : لقد كانت أفكارها بعيدة في مكان آخر .. مع جاب
الذي لازال ذكراه تطاردها أكثر من قبل ، كانت تفكّر بما يمكن أن يكون
قد حدث فيما لو تصرف كما هو المفروض أن يفعله عندما كان لا يزال
هناك بقية من فرصة ووقت .
كان الموسم السياحي على أشده في تلك الفترة الخريفية ، وكانت
السيارات ممتلئة لدرجة الانفجار تلقى بعابرات باكمالها آتية لقرى
جبال بلوريديج ذات اللون الداكن البنى .
كان من المتوقع أن يكون هناك جمع غفير في الملهى في المساء ، وهي
الوحيدة التي تعرف أن حساباتها في البنك أصبحت خالية ومكتوفة:
لقد استخدمت كل إيرادات الصيف في سداد جزء من ديتها ، ولم يبق
لها قرش واحد . ما الذي ستفعله في الشتاء ؟
لن يكون - بالطبع - العملاء المحليون القليلون وبعض الصياديون
العايرين هم الذين سيملئون أدراج الخزينة . إنها تعرف ذلك ، أما

- لا يوجد أحد لا يرغب في ذلك يا جاب ، ولكن اذهب إذن لمقابلة الع
ـ باك وأنا واثق من أنه سيخبرك عن أشياء لا تعرفها .
اهتمام جاب بهذه النصيحة وترك ابن عمه چوي .
قرر وهو مبلبل الفكر السير إلى نهاية الطريق عندما نادت سيدة
عليه وقالت وهي تقترب منه :
- أنا أسفه لللاحاج ، ولكن ليس هذا لأنني اكتشفت الحقيقة حولك ،
والتي يجب على الجميع أن يفهموها أيضا واتعثم لا أكون ضائقتك
بتعليقاتنا عنك وچيسى .
- لا على الإطلاق يا سيدتي ، ولكن صدقيني إنه سيكون من الأيسر ان
نجمع شمل العائلتين بدلا من مجادلة جعلتنى أنا وچيسى زوجين
متازين .
- مجرد هراء وكلام فارغ ! إنها مجنونة بحبك .
وهذا بين جلي لا يحتاج إلى برهان - في الحقيقة - أود أن أقدم
نفسى أنا چين شورت واعتقد أنك تعرف ابن عمي چافن .
- نعم .
- تعال لتناول العشاء معنا هذا المساء في الملهى وستغنى چيسى
لنا آخر أغنية لها .
تساءل الشاب عما إذا كانت چيسى تغنى ؟ قال معتبرضا :
- أعتقد أنها لن تسعد بحضورى .
- أه .. هنا أنت مخطى يا جابريل سان كلير .
چيسى هكذا خلقت : عندما تضطرب تبدو عدوانية ، ولكن هذا
لأشياء في الحقيقة - هيا تعال هذا المساء .. أنا مصرة .
لم يعرف جابريل السبب في أنه قبل في النهاية دعوة چين بل إنه
تبع التوصية التي قدمتها له في أن يذهب ليقطن في فندق ناجت على

- لا .. فيما بعد .. ربما فيما بعد
 قال الموسيقي مایک في هدوء:
 - لا بل هذا المساء، وتذكرى ان بيت الاسطوانات الجديد في
 نافذة سيسمع إليك في الحال
 - اوه يا مایک .. لقد نسيت .. هل انت والق انه الليلة؟
 - هذا ما قالوه ، ولكن إذا تمسكت بعدم الغناء فيمكننا أن نقدم
 شيئاً آخر: إننا سنؤثر فيهم حتى بدون الأغنية. انضممت جيسي إلى
 الموسيقيين على المسرح الصغير واستندت على ظهر البيانو.
 - لا .. يجب الاحتفاظ بالأغنية، ربما كانت احسن واحدة الغناء
 ستفنيها فلا تقلق ، اسمعني للنهاية.
 بعد فترة قصيرة صاحبتهم جيسي بصوتها الجميل والعميق مما
 جذب العديد من السياح من يمرون في الشارع أمام أبواب الملهمي
 المفتوحة . وجذبت ايضاً جابريل سان كلير الذي كان عائداً للفندق .
 صاح الشخص الذي كان يذرع الرصيف ذهاباً وإياباً أمام الكازينو:
 - إنها غير عادية لا أحد يستطيع ان يغني أغاني الحب مثل جيسي .
 ساله جابريل:
 - هل جيسي هي التي تغنى؟
 - نعم .. لا بد انك جاب أنا لوني شورت زوج جين وانا مدبر هذا
 الفندق .
 - جين؟ تلك التي أرادت ان تحمل اسمها عندما تزوجتك
 - بالضبط ...
 تأمل لوني جابي وقد بدا عليه الفضول ثم انفجر ضاحكاً:
 - يبدو انك على علم بالامر.. خبرتي!
 قال جاب وهو يبتسم معترضاً:

بالنسبة للآخرين: هؤلاء الذين يرتدون قمصاناً غالبية ، وأخذية بوت
 جلد الثعبان فإنهم لم يعودوا يأتون من أشهر طويلة .
 انقبض قلب جيسي وهي تذكر لقاءهما في الصباح: لقد مضى
 وقت طويل منذ ان فقدت جاب . وظلت أنها نسيته للأبد، ولكنها كانت
 مخطئة: لأنها إذا كانت كفت عن رسم قلوب حول اسمه ، إلا أنها كانت
 تعتبر ذكر اسمه مأساة: فهو يثير عندها الحقد والحنق ، ومع ذلك
 فإنها لازالت تحفظ في حياتها بلهيب ذكراه .
 كان جاب هو أول فرد من عائلة سان كلير الذي أتم دراسته التي
 يعدها واحتل مسافة بعيدة بعض الشيء بالنسبة لأسرته والجيل الذي
 شب فيه .
 وكانت جيسي هي أول من تخرج بشهادة الجامعة من بين أفراد
 أسرة جيمس وهي على العكس من جاب سارعت بالعودة إلى بلدتها
 لتحاول ان تستعيد ما فقدته الأسرة ، وفشل تماماً في مشروعها إلى
 اليوم الذي بدا ملهمي تراب الذهب يعرف النجاح ، ومع ذلك كان حلمها
 منذ الأزل وإن كان معرضها للفشل وهو ان تستعيد المزرعة العائلية . قال
 أحد الموسيقيين:
 - جيسي اسمع: إنها نهاية أغنتنا الجديدة .
 أجبت وهي تنتزع نفسها بصعوبة من ذكريات الماضي:
 - إنه جميل .
 بدا ملهمي يمتلى شيئاً فشيئاً بالزيائن الذين جاءوا ليقصوا ، وكان
 يلزمها الآن أن تراجع مخزون المشروبات والتتأكد من وجود كل ما يلزم
 للتقديم حتى الساعات الأولى من الصباح . قال الموسيقي:
 - إننا ستفتيها الليلة فلا تنسي ذلك .
 صاحت جيسي رغمما عنها:

والتويست

- وأستطيع أن أقسم إنك كنت وـ «جيسي» تكونان ثنائيا رائعا
- أنا لم أرقص أبدا مع «جيسي».

لم تذكر «جاب» لقد رقصا مرة معا واحد يعلمها بعض الخطوات
وضحكا معا باستمرار .. هز رأسه إنه في مثل هذه الساعة كان من
الواجب أن يتصل تليفونيا برئيسه ويستفسر عن اللصوص في
المدينة ويقوم بتنظيم الأمان بالنسبة للفاقلة الشهيرة ولكن بدلا من ذلك
ها هو يستمع إلى الموسيقى الشعبية المعروفة باسم «الكافزي»
ويحتسي مشروبا مع رجل عجوز يبدو أنه يعرف ماضيه الفضل منه.

فجأة خفت الانوار وأضيء المسرح وظهرت «جيسي» على خشبة
المسرح عندما شاهدها «جاب» أوشك أن يغشى عليه من الانفعال.

كانت ترتدي ثوب راقصه من أعوام الف وثمانمائة ، من الحرير
«الساتان» الوردي الصارخ وأطرافه من «الدانتيلا» السوداء . وظهرت
ساقها وقد ارتدت عليهما جوربًا من الشبك . أعلنت بصوتها الرخيم :
- مساء الخير ومرحبا بكم في ملهي «تراب الذهب» .

إن عازفي الجيتار الذين يقفون خلفي يسمون «الداستر» وأنا أسمى
ـ «جيسي چيمس» ، هذا المساء أحب أن أغنى لكم أغنية كتبتها بنفسى
إنها تدور حول قصة فتاة لم تفصح عن حبها لرجل استغلها قبل أن
يخفى من حياتها .

تساءل «جاب» هل كانت «جيسي» تعلم بوجوده ؟

إنه يتجاهلها ومع ذلك تحاول أن تنظر في اتجاهه وهي تشدو
 بكلمات الأغنية : إنها نفس الأغنية التي سبق أن سمعها بعد ظهر نفس
اليوم والتي يفهم الآن كل كلمة منها : إنها القصبة الحزينة لحب
اعتقدت شابة أنه مات . والذي بدا ينتعش شيئاً فشيئاً في روحها مما

- إنه .. لقد تناقشنا قليلاً معا ولكنها مخطئة تماماً في موضوع
ـ «جيسي» وأنا .

- إنك ستلحظ بسرعة أن «جين» لها طريقتها الخاصة في رؤية الأمور،
ولاتتردد في تحريكها في الاتجاه الصحيح لو رأت أن ذلك له جدوى .
انظر مثلاً كيف صنعت من الإنسان الآلي العجوز الذي كنته - مدير
لفندق وسيرقص في المساء في الملهي .

- فعلاً . إنها امرأة خارقة .
كان قد سمع من قبل الحديث عن العمة «جين» من ابن شقيقها «جامن»،
إنه لم يعرف ماذا تعمل في «تيلونيجا» ولكن سمعتها طبقت الأجراء
وجعلتها موثوقة بها في عيون الآخرين .

كان صوت «جيسي» قد دخل ولم يعد «جابي» يسمع سوى شعور
مكتومة توحى بلا شك بالشجن : سجن سبق أن تشاركا فيه .. ومن
جديد تذكر «جيسي» السابقة التي عرفها عند حافة البحيرة في الصيف
ما الذي حدث عندها من اختلاف ؟ لا شيء على الإطلاق ومع ذلك ..
نعم هو الذي تغير : فيما مضى كان يريد ويرغب «لورا» ولا يرى سوى
ـ «لورا» ولكن اليوم «جيسي» كيف يعترف بعد الصدقة التي ربطت بينهما بالرغبة
ـ التي يحسها الآن نحو «جيسي» ؟

ولماذا تثير نبرة صوتها الرخيم والحاد كل هذا الألم ؟
كانت حلبة رقص مليئاً «تراب الذهب» مزدحمة وكان الرجال والنساء
يرقصون على أنغام الموسيقى .

جلس «جابريل» في جزء منعزل بجوار «لوني» وهو يرشف الشراب
المقوى . كان الرجلان ينظران إلى «جين» التي كانت مسروقة وسعيدة
وهي ترقص على الحلبة بين ذراعي رجل مجهول . قال «جاب» :

- عندما كنت صبياً كان هذا المكان حلبة ليل وكنا نرقص «الروك»

ـ چين وزوجها لوني قد اختفيما بين الموارد نحو باب الخروج ، لم تعرف چيسى كيف تسيطر على اعصابها فتركت الامور تجري على هواها . ثم قالت اخيراً :
ـ إنني افهمها واعذرها لأننا لانقدم هنا سوى الهمبورجر واطباق الاشلاوا المكسيكية .

قال جاب برقه :

- لا تحملني بما بالنسبة لي يا چيسى فانا لست جائعاً وأفضل أن أجدر ركناً هادئاً حتى يمكننا أن نتحدث قليلاً .
ـ لا أعتقد أن هناك شيئاً مهماً نتكلم فيه يا جاب .
كانت لازال مضطربة لأنها لقيت جاب بعد انتهاء الأغنية التي كتبتها من أجله .

ووجدت چيسى صعوبة في إخفاء انفعالها .
وعندما رأها جاب في تلك الحالة غضب من نفسه بشدة .. كل شيء كان بسببه وهو يعرف ذلك .
رد عليها :
ـ بل هناك يا چيسى .

ود لو قال لها : إن أمامهما عشر سنوات يقص كل منهما على الآخر ما جرى خلالها ولكنها قال :
ـ لا بد أن نناقش موضوع هؤلاء الخارجين على القانون والذين يهددون بمهاجمة القافلة .
ردت عليه بحده قبل أن تنهض وتشق طريقها نحو البوفيه :
ـ ليس هذا المساء !

اختفت وراء باب خلف البوفيه وصعدت بسرعة سلماً ضيقاً حلزونيا نحو السقف ، كان على ثاثان وساق آخر أن يعني باللهى بضع الخدعة الكبرى

جعلها تصاب بالجنون من الشجن .
عندما انتهت المغنية من الغناء التزم الجمهور الصمت القائم لحظات قبل أن ينطلق التحقيق كالرعد يهز أركان الملهى . أراد جاب أن يعبر القاعة التي كان الظلام يغمرها حتى يساند چيسى كما سبق أن فعل ذلك كثيراً فيما مضى .

ولكن الأنوار أضيئت مرة ثانية فجأة وحيث چيسى الجمهور قبل أن ترسل إليه قبلة في الهواء . ثم اختفت وراء المسرح لتعاود الظهور بعد لحظات بالقرب من لوني ، سالت چين التي انضمت إلى المجموعة :
ـ ما رايك يا چين في آخر أغنية لنا ؟
وعندما شاهدت جاب تجهّم اساريها وبدت كأنها تتطلع لحظة ثم استعادت توازنها وقالت :

ـ مساء الخير يا جاب لم أعرف أنت تحب موسيقى الكانزي .
رد عليها مازحاً :
ـ ولا أنا ، ولكنني أحببت هذه الأغنية جداً ، لم أكن أعلم أنت تغنين
ـ في الحقيقة أنا لا أغني ، وإنما أنسلي مع فرقة الموسيقى ، أنا أقل المغنيات أجرًا في المنطقة هذا كل ما هناك .
تدخلت چين فجأة :

ـ لوني .. لدى رغبة شديدة أن انعشى طعاماً صبيباً هذا المساء :
وارجو الا تغضباً مني إذا تركتما أنت وجاب يا چيسى .
نهضت چيسى لقطع الطريق على چين وصاحت :
ـ لا .. لا يا چين .. لقد أتيت للعشاء وستبقين للنهاية .
ـ لا .. لا تصري يا چيسى إن الطعام الخليط ما بين المكسيكي والتكماسي الذي يقدمونه لا يعجبني .. صدقيني وستقابل غداً ..
قبل أن يستطيع جاب وچيسى أن يفعلوا شيئاً لإيقافهما كانت

ذلك أبدا
 أعرف أنني أحبك وأعرف أيضاً أنت تحببني
 أمسك **جابريل** الشابة من كتفيها وأدارها لتواجهه ونظر بعمق في
 عينيها.
 إنه على حق.. إن ما تحسه نحوه مختلف.
 أغمضت عينيها واحست بان الماضي اختفى.

دقائق، أما **جاب** فقد احتاج للهواء والفراغ والوقت حتى يستطيع أن
 يمنع قلبه من الخفقان الشديد، ولكن **جاب** قرر أمراً آخر.. لم تصل
جيسي إلى الشرفة حتى سمعت خطوات خلفها، ودون أن تلتفت
 للخلف عرفت أنه **جابريل** الذي اقترب منها ثم وقف.. دارت حول
 نفسها ببطء والتقطت أنفاسها قبل أن تقول:
 - اذهب من هنا يا **جاب** لا أريد أن أراك.

- لماذا يا **جيسي**؟ لقد كنت أعلم أننا صديقان..
 - لم نعد كذلك.. إن ما يجري بيننا اليوم شيء جديد وانا اعتبره كانه
 لا شيء وبلا هدف.

قال بالاحاح

- إذن أنت لن تسمحي بان يحدث لك شيء من جديد؟ أنت تخضلين أن
 تتعلقي بالماضي وكأنك تخشين أن يستغرقك الحاضر.. أليس كذلك؟
 كررت عباراتها السابقة بصوت متوجه:

- ارحل.. لست ماضيك ولقد جعلتني أفهم من وقت طوبل أنك لا تريد
 ذلك الماضي

قال:

- أنا أسف يا **جيسي** لأنني رحلت بتلك الطريقة دون أن أفسر لك
 الأمر.

- أنت لست مدينا لي بأي تفسير يا **جاب** وعليه فإنني لا أريد منك
 شيئاً.

لم يصدقها **جاب** هذا الصباح رأى الرغبة في عينيها السوداين..
 وهذا المساء أيضاً بالضبط قبل أن تهرب.. قال:

- أنا لا أصدقك يا **جيسي**، إننا لا نستطيع أن نخفى.. بعد ذلك
 طويلاً.. مشاعرنا وعواطفنا التي يكنها كل منا نحو الآخر: لن نستطيع

- أنا لا أصدقك.. ما الذي تريده مني؟

قال بعد أن ضحك في دهشة:

- ما الذي أريده منك؟ أنا لا أستطيع أن أجيبك من الناحية العاطفية

: لأن كل شيء واضح تماماً دفعته **جيسي** بعيداً عنها وقالت له :

- أعرف أنك تفضل لو أنك في مكان آخر غير هنا في هذه اللحظة

حتى لاستسلم لانجذابك نحوه . قال رغماً عنه :

- الحق معك .. إني اعترف بأنك لازلت تؤثرين على نفسي التأثير

القوي الذي كان من عشر سنوات .

- إذن تصور أنني استجبت لعاطفتك في هذه اللحظات المجنونة

وماذا بعد ذلك ؟ إنك ستختفي عشر سنوات أخرى . أي نوع من

اللحوش أنت للتمارس معي كل هذه القسوة؟ ولكن هذه المرة لاتحاول أن

تخدع نفسك لأنني لم أعد سانحة .

- أوه .. أعلم إني أستحق احتقارك يا **جيسي** . كان عليها أن تعترف

بینها وبين نفسها أنها حكمت عليه بقسوة أكثر من اللازم . ومع ذلك

هي أيضاً غير قادرة أن تدبر ظهرها لعشرين سنوات مضت فهل حان

الوقت لتفعل ذلك ؟ عليها أن تجعله يفهم أن عواطفها نحوه انتهت

وماتت ويفنت: لأنها لن تستطيع أبداً أن تتحمل أن يهجرها ثانية .

أخذت **جيسي** نفسها عميقاً وتخلى ببطء عن ثورة غضبها ولكنها

فجأة وجدت نفسها مذهولة عندما صفتة .

بهت **جاب** من هذه الحركة غير المتوقعة فتراجع

- إني اعترف بأنني مدین لك بالاعتذار عن تصرفي الماضي، ولكنني

أقدر أيضاً أنك مسؤولة مثلي عما حدث بيننا .

ردت عليه مبررة تصرفها :

- لقد دهشت .. هذا كل ما في الأمر .

الفصل الثالث

كم مرة خلال العشر السنوات الماضية تخيلت هذه اللحظة؟ إنها تريد أن تمحو هذه اللحظة في الحال من روحها وبكل عنف وغضب: لقد انتهت بها الأمر إلى نبذ **جابريل سان كلير** إلى أعماق الماضي .

الم يجعلها تفهم بوضوح تمام من عشر سنوات أنها لا تعني شيئاً بالنسبة لها ؟ ولم يتغير شيء من وقتها ، إلى أن انت تلك اللحظة :

نسقطت إذن كل شيء واستسلمت بجنون للعاطفة التي أغرقتها همس في

حنان

- أعرف أنه ليس من المفروض أن أفعل ذلك وأن اعترف لك بحبني

ولكنني أصبحت غير قادر على منع نفسي .

- أنت تعرف يا **جاب** أنه لم تعد لدى رغبة في اللعب

- ولا أنا يا **جيسي** .

قالت وهي ترفع وجهها نحو عينيه الماقبتين

ومع ذلك كان **جاب** على حق: منذ اللحظة التي نظر في عينيها ذات

كل مقاومتها قال :

- إنك لن تدهشني بقدر دهشتني . وانا أسف لأن ذلك كان غلطة ولم يكن لدي أية نية ان أصارحك بعواطفي عندما تبعتك إلى هنا . اسمعني يا **جيسي** بقدر ما يبدو لك الأمر غريبا بقدر ما دهشت أنا مثلك : لقد نجحت في إقناع نفسي بأن ما حدث من عشر سنوات مضت كان مجرد نزوات المراهقة لم أرد أن أجربك ولم أعرف ماذًا أصنع عندما حدث ما حدث رغم كل شيء .

- أعرف يا **جاب** وأفهم ذلك تماما وانا أسفه عليه فقط إنك كنت أول حب في حياتي . لا يهم من يتذكر حبه الأول . ويعطيه بعد ذلك أبعادا ضخمة ومهولة .

اعترف :

أقلن ذلك ...

ولكن ليس هكذا يريد أن يرى **جيسي** : إنها بمسلكها تثيره وتنزعه من تصميمه على الرحيل .

إنما لم يحبها أبدا نفس الشيء : لقد أراد الرحيل وهي أرادت البقاء في الجبل . ولذلك تذكر كلمات الأغنية عن تلك الفتاة التي هجرها حبيبها قال :

- المست أنا الذي تتحدث عنه الأغنية ؟ ذلك الذي رحل ؟

- بالتأكيد لا . إن مغوروا فقط هو الذي يظن ذلك .
لست الرجل الوحيد في العالم الذي في حياته تم ذكر انتي أنا التي طردتك .

- أنا دون شك الأحمق الوحيد الذي يقدر على ترك **جيسي** جيمس
مرتين . ربما لم أكن ماكرا كما كنت أعتقد .

ردت برقة :

- ربما ..

لقد نجحت . لقد رفضته عندما صفعته وعن طريق إقناعه أن استجابيتها اللحظية لعواطفه إنما كانت لحظة هوس عاطفي رهيب ، وتحقيقا لحلم المراهقة ، وأن العاطفة هي التي تكلمت وليس قلبها وضع **جاب** يده على الدرابزين المعدني ونظر من الشرفة إلى سقوف منازل البلدة ونحو الجبل .

إن ما حدث بينهما يجعله يضطرب اضطرابا رهيبا وحتى يتمالك

جاشه عاد إلى موضوع مهمته :

- لماذا يريدون نهب ذهب القافلة ؟

- لست أدرى .. خبرني أنت .

- إن **چوي** يدعى إنك تشokin في آل **سان كلير** وأنهم وراء كل ذلك

- لقد تساءلت في ذلك ثم حضرت أنت .

- وماذا في ذلك؟ وما هي العلاقة ؟

- المست من أجل ذلك حضرت إلى هنا . حتى تكمل العمل القذر الذي

بداه عمق؟ ولكنني أفهم يا **جاب** . أن الأعمال هي الأعمال .

كان أول رد فعل لـ**جابريل** أن يقول لها : إنها مخطئة وان فلنها ليس

في محله ، ومع ذلك نظرا لماضي **السان كلير** المشبوه . فإنه

لا يستطيع أن يقسم أن العم **باك** لاصلة له بهذا العمل .

كان يود أن يعترف لـ**جيسي** عن السبب الحقيقي لحضوره هنا

ولكن رئيسيه بين **چوي** يفضلان الاحتفاظ بسرية المهمة وبصراحة

فإن **جاب** لا يعتقد أن القافلة ستتعرض للهجوم ومع ذلك فإن التهديد

يبدو حقيقيا

وعلى أية حال فإنه لا يمكن أن يخل على الإطلاق أن **جيسي** يمكن أن

قالت له بصوت رخيم
 - إنه أنت يا جاب؟
 نعم يا چيسي كيف حالك؟
 أجبت قبل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه:
 - بخير .. الآن .. لقد اعتقدت أنتي لن أراك أبداً.
 - ربما كان من الأفضل لا أحضر.
 ثم دخلت زميلتها في الحجرة ورات چيسي وجاب معاً فقلت وهي
 تضع يدها على فمها:
 - أوه .. أرجو المعذرة ! لم أكن أعلم أن معك أحداً ! لقد أتيت لأخذ كتابي
 وسأرحل في الحال، ولكن الفتاة لم ترحل في الحال . اخذت تنظر إلى
 چيسي وجاب غير مصدقة وتلعثمت متسائلة:
 - هل أنت..؟
 أكمل جاب العبارة:
 - جابريل سان كلير .. أنا و چيسي صديقان قديمان، وقد حضرت
 أدعوه للنزة.
 سارعت چيسي بإعلان تأكيدها لكلامه وهي تسحب جاب نحو
 الدهليز.
 لم تفهم چيسي إلا مؤخرا التغيير الذي طرأ نتيجة لحضور جاب ،
 كانت حتى تلك اللحظة طالبة مجهولة من الجميع . وأصبحت - بين
 عشية وضحاها - الفتاة التي يسعى الجميع لصاحبتها ، وتلا ذلك
 بالتأكيد الانضمام إلى نادي النساء المميز في الجامعة . والتي رفضتها
 چيسي مع ذلك لقد فهمت أن جاب لم يحضر في ذلك المساء ليقابلها ،
 وإنما ليطلب منها شيئاً لا تستطيع أن تمنحه له .
 تركا الدهليز ورات چيسي بقية الفتيات ينظرن إلى جاب في

تشك في آل سان كلير وأبدأ لن يرجعوا على الاعتقاد أن القانون
 والعقل يمكن أن يجعله يشك في إمكان قيام چيسي بالهجوم
 - الا تظنين - على أية حال - انتي قادر على القيام بمثل هذا العمل
 يا چيسي؟
 - ولم لا ؟ لقد ارتكبت ما هو أفح منه بدعوى الوفاء بواجبك نحو
 عائلتك .
 فجأة وجدت الشابة نفسها وقد عادت للوراء خمسة عشر عاماً وأكثر
 في مساء يوم من أيام الخريف في حرم جامعة چورجيَا كانت
 المصابيح الزجاجية الكروية تلمع في كل نافذة من نوافذ بيت الطالبات
 بينما تزارج الأشباح الورقية المعلقة بمناسبة عيد الفصح .
 كانت چيسي جالسة في قبوها أمام مكتبها تحاول أن تعمل في حين
 كانت رغبتها الوحيدة هي أن تخلع نعليها وتجري نحو الجبل لتلتحق
 بـ جاب ، ولكن جاب لم يكن موجوداً هناك .. لقد مرت أربع سنوات
 منذ رحيله ولن يعود أبداً . كانت أول فتاة في الأسرة التي دخلت
 الجامعة وكانت لديها الرغبة والنية أن تخرج فيها بمرتبة الشرف لو
 كانت قد حصلت على شهادتها وتعلمت أن تتصرف مثل بقية الفتيات
 الحسنات الذكريات اللاتي يتسلكن في حرم الجامعة فلربما عاد
 جاب إلى البلاد .. ولكن لا .. لا يجب أن تفكر هذا التفكير .
 أولاً لأنها لا تعرف بالضبط أين هو .. إنه جرح تجاه مصدره ومن كان
 السبب في استبعاد جاب من فريق الدورفيز . ربما كان قد تزوج .
 لقد رأت صورة في مجلة حيث كان في وضع تصوير مع شقراء فاتنة .
 ومع ذلك كانت چيسي تؤمن في قراره نفسها أنه لا يزال ينتمي إليها .
 لحظتها رفعت الشابة - وكانها تحلم - عينيها ولحته وهو واقف على
 باب حجرتها في بيت الطالبات .

عمل طائشا من مراهق .

- لقد فهمت ذلك جيدا يا جاب . لقد فكرت فيك و لورا لمدة اربع سنوات وكنت اعتقد أنها افضل مني .

- لا .. هذا ليس صحيحا يا چيسى .. أنت كنت مميزة .

- وهل لازلت مميزة يا جاب ؟ لابد أن هناك فتيات عديدات على استعداد للتسريعة عنك في مرضك .

- ليس بالعدد الذي تخيلته ، ولكنك اوحشتني كثيرا .

- وأنت كذلك يا جاب . لقد اشتقت إليك ولم أجده أي شخص اتحدث معه منذ رحيلك .

- رأته چيسى يقترب بابتسامة باهنة فانجذب إلى النافذة ، واخذت تنظر إلى الشارع . قال برقه :

- ولكن كل شيء تغير تماما .. لقد كبرت وعثرت على وسيلة لترك الجبل . لقد أصبحت امراة فاتنة وناضجة غير تلك المراهقة النحيلة التي كنت اعرفها والتي تسر بامنيتها إلى اول نجمة تراها .

- ولكنك ترى أن حلمي قد تحقق . رد عليها في لهجة مرهقة :

- ليس حلمي .

احسست بالقلق فجأة وسالتـ :

- مازا هناك يا جاب ؟

- لقد حاولت طوال حياتي أن أهرب وأن أصبح شخصا ما و كنت اعتقد أنني عثرت على سبب حقيقي للحياة . ولكن ذلك كان وهما وفقدت كل شيء .

- لا .. أنت لم تضع يا جاب .

احسست في تلك اللحظة أنها على استعداد لتقديم له الحب الحقيقي :

حسد والأولاد يتعرفون عليه ويستدرون ليتأملوا تلك التي ترافقه والذين لم يلحظوها من قبل .

عبرًا معا بهو الاستقبال وخرجا ، و جاب ممسك بيده چيسى وكانها بالنسبة له أهم شيء في الدنيا .

سألته :

- لقد سمعت أنك جرحت .

- نعم في ذراعي وهو أمر سيء بالنسبة لي .

- هل ستتوقف طويلا عن اللعب ؟

- لست أعرف بعد . أين يمكننا أن نتحدث دون أن يزعجنا أحد ؟

اجابتـ :

- في قاعة الطلبة .

ولكن كان هناك العديد من الناس يمنعونهما من الحديث في هدوء فقال مقتربا :

- لنرحل من هنا .

وفي الحال ودون أن يعرفا كيف حدث وجدا نفسيهما في حجرة جابريل في الفندق واحسست چيسى رغمما عنها بعدم الارتباط . قال لها :

- لم يحدث أبدا أن كنا بمفردنا . اليـ كذلك؟ ولو سمعت نفسـي وعقلـي لذهبـت لـالـقـيـ بـنـفـسـيـ فـيـ الـبـحـيرـةـ حتـىـ لـاـقـتـشـاهـدـيـ تـاثـيرـكـ عـلـيـ .

- لا يا جاب ، إنـيـ أـرـيدـ أنـ اـعـرـفـ مـاـ قـعـلـتـ بـكـ ؟

لقد اشتقت لك كثيرا .. لقد مر زمن طويل .. تذكر آخر ليلة قبل رحيل جابريل للالتحاق بالجامعة .

قال متعلـقاـ :

- المـ أـكـنـ أـرـيدـ أـنـ اـفـعـلـ مـاـ قـعـلـتـهـ فـيـ تـلـكـ اللـيـلـةـ ياـ چـيسـىـ ؟ـ لـقـدـ كـانـ

واجبي نحو اسرتي لآخر مرة ولربما تركوني بعد ذلك ارحل .

- لماذا ؟ هل يحتفظون بك كرهينة؟ انن تستطيع الرحيل دون ان تشتري حريرتك؟

اعترف **جابريل** في لهجة حزينة :

- إنه شيء كهذا .

قالت له بمنتهى الهدوء :

- إذن لا يعتمد علي في تسهيل المهمة.

رات **چيسى** على مكتب **جاب** في حجرته بالفندق مجموعة من الأوراق مشبوبة مع بعضها فقالت :

- يمكنك ان تأخذ هذه الأوراق إلى عمه وتقول له: إنني لن أوقع لأن و لا بعد شهر ولا سنة ...

أخذ صوتها يرتفع شيئا فشيئا إلى أن أصبح صرخة غاضبة وهي تقول له :

- إن قطعة الأرض المذكورة ربما ضلت عسيرة المذاقل أو ربما مستحيلة للأبد : لأن ذلك لن يهمني ، وانا لا اريد ان اراك ابدا بعد الان لا انت ولا عمه ولا محامي عمه ! وشكرا على فترة ما بعد الظهر اللطيفة هذه .

صاح وهو في قمة الفزع :

- لا يا **چيسى** .. لم ارد ان اجرح شعورك وانت تعرفين انني احبك .

- لا فائدة يا **جاب** لقد فات الاوان ولم اعد اصدقك .

رحلت **چيسى** ولم يرها **جابريل** بعد ذلك ابدا إلى اليوم إنها لم توجه له اي عتاب هذه المرة ولكن الحنق والحدق كانا لايزالان يسكنان بداخلها ويهددان في اي لحظة بالظهور . قال **جاب** :

- انا اسف على ما حدث يا **چيسى** اكثر مما يمكن ان تخلي .. إنني

حب امرأة وحيدة لرجل وحيد .

إنها تحس أنها لن تجد الراحة والأمان اللذين تعرف انهما لن يجداه عند أي شخص آخر .

- اوه يا **جاب** إنني من أجل هذا انتظرتك .

لماذا تأخرت كل هذا الوقت لتعود؟

فجاة احسست بأنه متواتر بشدة وأخذ يمرر كفه على جبينه الذي علاه العرق ، وقال متعلما :

- إنني لا استطيع ان اؤمن باننا معا هنا .. اعتذرني يا **چيسى** ليس من المفروض انني اتيت لإغرائك ولا لأقدم لك عهودا كاذبة، كل ما اردته هو توقيعك على بعض المستندات والآن ...

بهتت **چيسى** وكأنها اصابتها الصاعقة إن **جابي** لم يحضر لي بعيد علاقتهما وهو لا يحبها . كل ما يريدته منها توقيعها على بعض المستندات او بمعنى اصح مستند واحد يحاول آل **سان كلير** إغراءها بتوقيعه من سنوات طويلة .

استدارت نحو النافذة كالمنومة مغناطيسيا وحاولت بصعوبة السيطرة على ثورة غضبها المتزايدة داخلها .

- لو اذك قلت في البداية سبب حضورك لربما وقعت هذه الأوراق .

هل تظن حقا انك تستطيع ان تمثل على دور الحب حتى تحصل على ما تحتاجه ؟

- لا .. بالتأكيد .. ولكن الأمر حدث هكذا .

تابعت **چيسى** :

- ولو فرضنا انني وقعت ماذا تظن سيحدث لنا بعد ذلك؟

اعترف قائلا :

- اذا لم افخر في ذلك ، ساسلم المستند لعمي؛ وبينك اكون قد اكملت

تعطيبهم الحق في وضع يدهم عليها ، وهي قطعة الأرض الوحيدة التي يملكونها آل جيمس ولا يملكونها آل سان كلير، كان من الأفضل أن يرسلوا شخصا آخر غيرك ، ولكنهم طلبوا منك أنت ذلك

أنت الوحيد الذي يعرفكم هذه الأرض عزيزة على

- من الأفضل أن أقصن عليك بقية الحكاية يا جيسي لم يكن لدى على الإطلاق أية رغبة في النهاي للحصول على توقيعك ، ولكنني تركت عملي بشربيني بطريقة ما ، لقد دفعوني عائلاً إلى النهاية مالياً ومعنوياً : لم يكن لدى لأمهنة ولا شهادة ولا مستقبل ، وكان علي أن أجد ما يمكنني من شراء حلم جديد : ولذلك وعدني العم باك إذا ما تمكنت في الحديث معك ، فإنه سيكون آخر شيء يطلب منه هو والعائلة واقسموا أنهم لن يزعجوك أبداً بعد ذلك : وقد تصورت أنك مادمت التحقت بالجامعة فإنك لن تكوني متعلقة جداً بتلك الأرض ، ربما كنت

قلقاً للغاية ومتلهفاً على الرحيل حتى إنني فضلت أن أصدقهم .

- حسناً إنني لقد خدعوك تماماً يا جاب ، ولكن لا تتوقع أنني سأستسلم بسهولة : إنني سأستعيد كل أراضي أسرتي وأعدك بذلك وأنني مادمت في ملهاي فإني أطلب منك الرحيل .

- انتظري يا جيسي . إذا رفضت الحديث عنا فعلى الأقل أقبلي الحديث عن قافلة الذهب .

لابد لي أن أعتبر على جواد ومعدات المخيم ولا كنت ساحمل السلاح فانت مجبرة على أن تخربيني بجزء من خطتك .

قالت وهي تزفر :

- موافقة .. ساراك يوم الاثنين .

- الاثنين ، ولماذا لا يكون الغد ؟ هل يغلق الله أبوابه يوم الأحد ؟

- نعم لأنني انهب إلى الكنيسة .

أشعر بالعار لأنني تركت نفسي العوبة في يد أسرتي تتلاعب بي ، ولكن شعوري بالعار يزداد لأنني لم أقل الحقيقة وهي أنني كنت أحبك فعلاً وأظن أنني كنت أحبك دائمًا ..

- يمكنك أن تشعر بالعار يا جابريل سان كلير . أعرف أنك كنت تحبني وقتها وأنت لم تكتب على أحداً ، ولم أقابل في حياتي شخصاً في مثل صراحتك معى . وهذا سبب الألم الشديد الذي سببته لي ، والجرح العميق الذي أحسسته عندما قلت لي الحقيقة .
قال لها شارحاً :

- عندما استبعدوني من الفريق فقدت صوابي : فقد كان القرار جراحاً بعمق لي ، والعديد من الناس لم يفهم ما أحس به ، ثم رأيت وكل شيء بدا يتحسن بالنسبة لي إلى أن هربت : لقد رفضت أن تنصتي إلى ما جئت وقتها لاقوله لك .

ردت عليه جيسي :

- لقد سمعت يا جاب وكنا على وشك الاعتراف بالحب الذي يربطنا وهي المرة الأولى التي تحدث لي في حياتي أن أصارح فيها أي شخص بحبي ، وكانت أنتظرك أن تقولها من قلبك : أنا أحبك يا جيسي !

سالها وهو يستدير فجأة نحوها :

- وماذا كان يمكن أن يحدث ؟ كنا سنتزوج ونعيش في الجبل تماماً كما قullet عائلاً بلا شهادة ولا أي مهنة . ربما يكون تصرفني أحمق يا جيسي ، ولكنني وقتها كنت أعلم أن زواجنا هو أسوأ ما يمكن أن تفعله .

- وأنا فهمت ذلك أيضاً يا جاب ، ومع ذلك في تلك اللحظة كنت لا أزال أعيش في الماضي : لقد كنت أنتظرك عودتك ، وفجأة عدت وأنت في حاجة إلى ، وكل ما سمعته أن عائلاً ت يريد توقيعي على قطعة أرض

دشن قادلا :

- طوال النهار :

- لا .. بعد الكنيسة اتناول غدائى وارحل لاتريض فوق الجواد في الجبل .

- رائع .. ستناول الغداء معا ثم نرحل فوق الجياد .

قالت تذكره بلهجة جافة :

- ليس عندك جواد .

- بل عندي فويجو .. وعلى فقط ان استعيده .

- من اين ؟

- من عند ابن عمي والتر .

- لقد اعتقدت انك لا توجه اي كلمة لاسرتك ، فلماذا إذن يقدم لك والتر هذه الخدمة ؟

اعترف قادلا :

- لنقل إنه يرد لي دينا .

زفت جيسي :

- حسنا موافقة ، غدا ستحديث سويا .

- شكرنا يا جيسي .. ساتي لاصطحابك بعد الغداء . لم تجد جيسي اي قدرة على أن تجادله . إذالم تنتزع نفسها فورا من دائرة جانبية جاب المركزة فإنها قد تفقد كل سيطرتها على عواطفها . أن تدعى القوة وعدم المبالاة بدت لها أصعب بكثير مما كانت تعتقد .

قالت تذكره :

- فقط للحديث ، لم اعد تلك العاشقة المراهقة التي تحمل قلبها معلقا بين يديها والتي يهزا بها الجميع .

كانت جيسي على حق . لم يسبق له من قبل ان اظهر لها الاحترام

الذى تستحقه لقد استغلها عندما احتفظ بصداقتها سرا ، وإذا كان غير قادر على تغيير الماضي فعلى الاقل عليه أن يبذل جهده : كي يجعل الجميع يعلمون أن جيسي چيمس وجابريل سان كلير كانت تربطهما صدقة . إنه مدین لها بذلك تماما .

عندما وجدت جيسي نفسها بمفردها هبطت الدرج في بطء وانشغلت كلية في الملهم لتبعذ ذهنها عنه ولكن دون جدوى . لقد قابلت جاب مرة ثانية وتحدى عدة مرات ومنحته الفرصة اكثر من مرة للرحيل ، ولكنه لم يتحرك ارتسمت ابتسامة خفية على شفتيها من الأمل .

لقد عاد جابريل سان كلير مرة ثانية .. اوه .. طبعا . إنه ليس قديسا . لأن جيسي چيمس تعلم احسن من اي شخص ما هي قيمة هذا الرجل . إن عودته إلى دهلونيجا تعيد إحياء ذكريات مرة وتولد عندها مرة ثانية رغبات ظلت أنها ماتت : إن هذا الخبيث يعرف جيدا ما يفعله . استيقظ جابريل في اليوم التالي متاخرا ، وارتدى القميص الوحيد الذي يملكه وجيئزا ، وهبط إلى قاعة الطعام حيث وجد لوني منهما في العمل . ساله :

- هل لديك ربطه عنق تفرضها لي ؟

- بالتأكيد ولكن أجد أنك مبكرا

- ساذهب في جولة في الكنيسة

خلع لوني رباط العنق الذي يرتديه وناوله له .

تدخلت جين وهي تبتسم في رضا :

- لو كنت مكانك لذهبت إلى ناحية الكنيسة الميتودية الواقعة على

طريق بامكتنابين

- علم الأمر يا چين وشكرا .
- إن القدس عادة يكون طويلا ، وستحس بالجوع عند خروجك من الكنيسة .. أتحب أن أعد لك وجبة خلوية؟
- ولم لا .. إن لك أفكارا رائعة يا چين .

الفصل الرابع

سال جاب :

- متى أصبح العم باك من أتباع الكنيسة الميتودية؟

ردت عليه چيسى :

- منذ أن بدأ يصاحب عازفة الأورج في كنيستنا إيفي ستيفنز وهي السبب الوحيد لانتظامه في حضور القدس كل يوم أحد .

- لقد دهشت في الحقيقة عندما وجدته هناك حالا ولا أستطيع أبدا أن أصل إلى الاقتناع أنه يقبل الحديث معك .

- إن عمك دائما يتقلبني يا جاب ، وإلا لما كنا نجري بالجياد في الجبال كما نفعل كل أسبوع لماذا - في رايتك - أرسلك إلى لاوقي المستند؟ لم يجب جابريل وإنما أدار الراديو وبحث عن محطة إذاعية تذيع موسيقى الكانزى الشعبية ثم اقترب من النافذة المفتوحة ، واستنشق الهواء العليل القادم إليه من التلال ، ينبعث من تلك التلال والجبال

- إنك في حلمك كنت ت يريد أن تصبح مميراً ؟
 - نعم . كنت أعرف أن شيئاً ما لا يسير كما ينبغي في الأسرة ولكنني كنت أطمن نفسي وانا أقول: إن ذلك ربما كان بسبب أن جدي كان أسيراً النساء الحرب ، وهو من ناحية أخرى اعتبر بطلاً ولكن أحداً وقتها لم يفهم إلى أي حد أثر فيه السجن ، وبناء عليه أصبح شريراً وخاطئاً ، وكان الجميع يرددون في كل مكان أن جدتي كانت ملائكة حتى تتحمله : إنها لم تشك أبداً وانتهى بها الأمر إلى الذبول شيئاً فشيئاً .

ظلّ "جابريل" فترة شارداً قبل أن يضيف :
 - ثم وقعت حادثة البوكر الشهيرة حيث ربع فيها جدي منجم الذهب الخاص بالـ "جيمس" ، وقد استقرت الأمور لفترة بالنسبة له إلى أن فقد ما بداخل المنجم وأصبح جدياً وهكذا أصبح سوء الحظ آل "سان كلير" مرة ثانية .

- وكيف هذا ؟

- في يوم ما تعطلت سيارتنا وسط الشتاء وبدونها لا يستطيع أبي أن يفعل شيئاً ، فقد عمله .

- ولكنها ليست غلطته .

قال "جاب" مؤكداً :

- بل غلطته : لم يفكر في وضع مادة إذابة الثلوج في المحرك . وكان الأمر واضحاً ، إن كل ما كان يقع لنا كان سببه دون شك هو الإهمال . ومن الواضح أن الشخص الوحيد الذي بدأ تظهر عليه بوادر الحكمة في العائلة هي جدتي ، ولو كتب لها أن تعيش مدة أطول لتغير كل شيء ولكن بعد موته جدي "إيفان" بوقت قصير سقطت صريعة ذبحة صدرية .

طهارة ونقاء لا يمكن أن يجد مثيلهما في أي مكان آخر . سالها فجأة :
 - منذ متى بدأت الغناء ؟

- لقد كنت أغنى باستمرار ولهذا السبب سجلت اسمي ضمن فرقـة الإنشاد الدينية في الكنيسة .

- أنا لم اسمعك أبداً من قبل .
 اعترفت :

- لقد كنت خائفة من أن تهكم على .

- وهل سبق لي أن تهكمت عليك يا "جيسي" ؟

لم تجرؤ أن تنظر في وجهه مباشرة خوفاً من أن تفقد سيطرتها أمامه هناك شيء ما مؤثر في ذلك الرجل . شيء شديد القوة ولم يكـف أبداً عن أن يفتنها ويسحرها قالت :

- لم تفعل أبداً يا "جاب" ولكنني لست أدرى لماذا كنت أخاف تهكمك في ذلك الوقت ؟ لقد كان من المهم عـندي إلا تفعل ذلك .

- ومع ذلك أدعـيت أنا إنك لست مهمة بالنسبة لي . وقد اخطأت وتركـت بعض الأشخاص يعاملونك بعدم اكتراث في الوقت الذي كان على أن تدخل وأحمـيك .

- أعرف لماذا تصرفت هكذا يا "جاب" ولم أحقد عليك أبداً . لقد أردت أن تصـبح شخصاً مهماً وفجأة تحقق حلمك . ولكن بالنسبة لي كنت بالنسبة لي شخصاً ممـيراً .

قال مؤكداً ودون أن يحاول إخفاء مشاعره وانفعاله :

- أنت التي غذـيت حـلـمي دون أن تشعرـي يا "جيسي" . أدرك "جاب" أنه ترك صوتاً بداخـله يقول ما يقول بحرية ، في حين أنه لم يكن يسمع ذلك الصوت فيما مضـى . كـررت "جيسي" وهي حـاملـة عـبارـة "أنت التي غـذـيت حـلـمي" ثم قـالـت له :

التي كانت تختنقني .

- هل عدت في تلك الفترة ؟

- نعم ، عندما اعلنني طبيب الفريق انني لن استطيع اللعب بعد ذلك ، وقد قدم لي والدي وعمي نصيبي من الارض بشرط ان ابقى وأشاركهما في الاموال التي احصل عليها من شركة التامين تظير إصابتي .

- وما الذي جعلك تقرر ان ترحل ؟

- انت .. رغم الغرابة التي يبدو عليها هذا القول . إن الجزء من الارض التي عرضوها علي جزء من تلك القسم غير المطروق والذي لا يمكن التصرف فيه لانه كان ملك جدتي ، وهي التي ارادت البيع عندما رفضت انت ان تسمحي بالمرور في ارضك . اعلنت "جيسي" في ارتباك وحده :

- لم اكن اعرف ان الارض ملك يا "جاب" .

- لقد استغلوني يا "جيسي" فلا تنسى ذلك ، وعندما فهمت ما فعلته أصبحت غاضبا جدا حتى لمن اقل لهم ابداً إننا نتقابل ، انت وانا . وإن كل شيء يمكن تسويته . انا لم أعد إلى هناك أبداً ، وقد استخدمت اموال التامين لاستئناف الدراسة في الجامعة وإيجاد وظيفة لي .

اعترفت "جيسي" :

- في هذه الحالة لست نادمة على كل ما حدث . لانك لو كنت عدت لما كانت لدى الرغبة في ان اغير حياتي ، وانت ترى يا "جاب" انني سامحتك ، انت على حق .. لقد جاء الوقت المناسب لنسيان المعارك التي تفرقنا من زمن بعيد .

مرة ثانية تنتسب "جيسي" في تحسن حالته المعنوية وهي تستمع

قالت "جيسي" في رقة :

- ومع ذلك كان الجميع فخورين بك ، وانا اذكر ان والدك كان يشاهدك وانت تلعب كرة القدم . اخذ يصبح ويهلل عند تحقيقك هدفا .

- لا شك في ذلك لانه راهن علي ، وانه يحسب ارباحه . لم تعرف "جيسي" لماذا ترد امام مرارة "جاب" .

لقد كان آل سان كلير يعتبرون دائمًا بلا فائدة ، ولكنها كانت تعزو ذلك إلى الجهل وسوء الحظ ، وهي تعرف إلى أي حد يكره "جاب" هذا الوضع وفهمت أيضًا مسلك والد "جاب" لأن والديها كان لهما نفس رد فعلهما أمام سوء الحظ . استمر "جاب" :

- هذا صحيح ! لقد اردت ان اكون شخصاً مميزاً ، لقد اردت ان اعرف شيئاً اخر ، واكتشفت ما يجري على الجانب الآخر من الجبل ، وقد نفعتني لعبة كرة القدم كمهرج .

قالت "جيسي" :

- اعرف ذلك : لقد كنت انصت إليك وانت تتحدث ، وكنت ارى ما يجري حولنا ، ولكنني كنت اعلم في نفس الوقت ان ذلك يعني ايضاً انك ستترك المنطقة ، وأنك ستتخلى عنـي ..

- لم يهتم بي احد غيرك يا "جيسي" ابداً وانا نادم تماماً ، لأنني لم اقل لك ابداً كم كان اهتمامك يعني بالنسبة لي .

- بعدها أصبحت بطلاً رياضياً مشهوراً في الجامعة يبحث عنه الجميع بما فيهم المحترفون .

- هل هذا ما كنت تامله يا "جاب" ؟

- نعم لفترة ما . لقد طلب مني فريق "دلفين" الخاص بـ "ميامي" ان اترك الجامعة لأنضم إليهم واعتقدت حقاً ان كل شيء يسير في صالحـي ثم اصبت بعد ذلك ولم يكن هناك "جيسي" لتشاركـني شـكـوـكيـ ومـخـاوـفـي

- ولكن أين سندذهب ؟

- أريد المرور على ابن العم والتر للتأكد من أن قويجو مستعد لزفة طويلة، ربما كان لديه جواد آخر لك. لقد أخبرتني أنك تمنطين الجياد .. أليس كذلك ؟

قالت بصوت مخترق :

- وهل سندذهب إلى مزرعتنا ؟

- نعم ولكن بشرط أن توافقني يا جيسى يمكننا الاستمرار مباشرة إلى البحيرة لو فضلت ذلك ؟

- لا .. ليس إلى البحيرة .. اذهب إلى المزرعة إنني متربدة بعض الشيء لأنني لم أعد إليها منذ وقت طويل .

كان جاب يعرف بالضبط المدة : فقد كان والتر حتى يستطيع شراء المزرعة الخاصة بالجيمس قد أقرضه جاب جزءاً من الأموال التي ربحها من اللعب لفريق "الدلفين" في ميامي وكانت جيسى لاتزال في المدرسة وقتها . قال :

- لابد أن الأمر كان قاسياً عليك أن ترى والدك يبيع الأراضي التي كنتم تمتلكونها .

اجابت جيسى :

- نعم .. قاسياً جداً ولحسن الحظ أن جدي لم يعش ليرى ذلك . فجأة أصبح ضروري وإجباريا علينا أن نسكن في شقة .. بل حتى أبي لم يستطع الحصول على الشقة، ولكن ذلك ساعده على فهم ما أحسسته أنت أيضاً عندما غادرت الجبل .

سالها جاب مرة ثانية :

- هل أنت متأكدة من رغبتك في المرور على المزرعة ؟

يمكننا ببساطة التريض ونسيان التمشية بالجياد .

إليه وهو يقص عليها شوكوكه، وفي خلال نصف ساعة بضعة كشف لها جاب عن المزيد عن حياته لم يسبق أن فعله مع أحد آخر طوال كل تلك السنوات .

الآن تتمتع بموهبة إمكان القضاء على الآلام التي تعذبه ؛ بعد ظهر ذلك اليوم المشمس الربط وتحت تأثير الريح التي كانت تتطاير معها خصلات شعرها الشقراء اعتقاد جاب أنه عاد إلى سن الثامنة عشرة وإن اختلف ذلك في أن جيسى كانت في الثامنة عشرة من عمرها وليس في الرابعة عشرة وهما معاً لم يكن يفهمها أي شيء بالنسبة للأخرين . ومع ذلك كان عليه أن يتعامل نفسه رغم عنه إنه الآن في الثانية والثلاثين وعليه أن يواجه الحاضر . سال المرأة بصوت بطيء :

- وهل أنت التي تكتفين الأغاني التي تغනيها فرقتك ؟

- لا .. إنني أحاول فقط أن أجعل الجمهور يحس بما أشعر به . ولكنها لم تكن تخفي في تلك اللحظة وتأمل إلا يستشعر جاب القلق الذي يضغط على أعصابها والشك الذي يغرقها والتي تحاول جاهدة السيطرة عليه .

إن الحياة تستطيع أحياناً أن تلعب دورها . لقد اعتقدت جيسى دائماً أن جاب سيعود وكانت تعرف بصفة مؤكدة أنه عندما يعثر على طريقة فإنه سيعود إليها . ولكنها لم تعد سانحة هذه المرة يسهل خداعها هناك سبب لعودته، ولكن هل مسألة الهجوم المتوقع على قافلة الذهب حقيقة أم من نسج خياله ؟

او خيال واحد من آل سان كلير . سالتها فجأة وهو يقود باقصى سرعة سيارته فوق الطريق الضيق الذي يشق الغابة :

إذا رغبت .

قال جاب لـ چيسي التي ترددت في الهبوط من السيارة :

- هل ستاتين معى ؟

- لا .. إنني افضل أن أنتظرك هنا لو سمحت .

قالت لها الأم الصغيرة :

- يمكنك أن تأتي ل تستريح في الشرفة حيث الجو منعش أكثر و يمكننا أن نشرر : إنني أعيش أن أجده معى صحبة .

لم يحبد جابريل فكرة أن يترك چيسي بمفردها في ذلك المكان ، ولكن لم يكن أمامه مفر ، وبعد أن لوح بيده نحوها ابتعد نحو المخزن .

نادى عندما وصل إلى المبنى العتيق الخشبي .

- والتر ؟

- من هنا وإذا كنت تعرف شيئاً في الجرارات فمرحباً بك .

داخل المخزن المخلل الساكن سمع طنين الحشرات بينما فاحت رائحة الإسطبل النفاذه من مكان الجبار ، كان والتر الذي كان جاب يراسله شهرياً وإن لم يره من مدة طويلة ، كان منحنياً على محرك الجرار . قال له جاب :

- إنني لا أعرف حقاً الكثير عنه ولكنني على أية حال يمكنني أن القى نظرة .

- جاب ؟ هذا مستحيل ؟ إذن لم تطلق آخر قسطه ؟

- بل تلقيته يا والتر ، إنني لم أحضر لهذا الغرض .

- إذا كان الغرض هو الاطمئنان على قويجو فهو في خير حال .

وانما مستمر في امتحانه كما وعدتك قال جاب وهو يفحص المحرك :

- أعرف يا والتر ولكن خبرني ماذا حدث ؟

- أعتقد أنه يجب علي أن أحطم الجرار : إن الناس لم تعد تدخن التبغ كما وأن بيع تبغى لن يوفر لي حياة مريحة ومحترمة .

- لا يا جاب على العكس يجب أن أعود إلى هناك ومواجهة الواقع و .. معك ستكون المواجهة أسهل . بعد فترة قصيرة سارت چيبي في طريق ضيق صخري ووغر عبر نهر يومكناين فوق كوبري كانت تعرفه چيسي جيداً ولكنها وجدها أكثر تهالكاً مما كان قبل ، أخيراً ظهر لهاما البيت الذي كان فيما مضى ملكاً لآل چيمس مختفياً وسط أشجار الأرز الباسقة ويشرف على مرج واسع زرع فيه والتر التبغ وبعض أشجار التفاح .

احست چيسي بقلبها ينقبض وهي تلتئم بعينيها المناطق المحيطة بها ودهشت عندما وجدت البناءة القديمة صغيرة جداً ، وكان طلاء الواجهة قد تشدق في كل مكان كما هبط السقف في مكان منه والشرفة الخشبية بدت مائلة لأسفل بدرجة خطيرة . زفرت الشابة بينما يقف جاب بالسيارة أمام المدخل :

- إن البيت يبدو حزيناً جداً .

منذ سنوات مضت كان المكان سعيداً .. ألقى جاب هو الآخر نظرة على البوابة التي غرتها الأعشاب الضارة : كان من الواضح أن والتر وزوجته الشابة غير مهتمين بهذه الدار التي كانت ملكاً لأسرة چيسي .

ظهرت امرأة على الباب وقد حملت طفلاً على وسطها ، وكان ينظرونها ملقوياً عند الركبتين وقميصها مغطى بالبقع . سالت دون أن تخفي ربيبها وشكها :

- ماذا يمكنني أن أفعل لكما ؟

قال الشاب وهو يبتسم :

- أنا جابريل سان كلير ، أنا ابن عم والتر هل هو موجود ؟

- إنه هناك عند مخزن الغلال يقوم بإعداد الجرار .. اذهب إلى هناك .

وافقه جابريل قائلًا :

- نعم إن الأمر لم يعد يسعدك على ما أفلن .

- أليست لديك بالمصادقة رغبة في شراء مزرعة؟

- لا ، شكرًا .. لقد نجحت في الرحيل من هنا من وقت بعيد وليس لدي القدرة أن أقيم هنا مرة ثانية .

- في الحقيقة أنت على حق ، أخيراً فهمت الأمر وما عدائي كان العم باك هو الوحيد الذي استقر في الجبل ، واعتقد أنه لن يتاخر هو أيضًا في النزوح من الجبل ليقيم في المدينة .

اعترف جابريل في دهشة :

- إن هذا الخبر يدهشني تماماً مثل رؤيتي له هذا الصباح في الكنيسة .

- نعم إن تأثير المرأة على الرجل يصنع المعجزات حتى باك وقع في الفخ .

انتصب والتر واقفاً ومسح وجهه بمنشفة ثم سأله جابريل :

- ما الذي أتي بك إلى هنا؟

- لابد أن أصحاب - فوق صهوة الجواد - قافلة الذهب حتى أتلانتا وأحب أن امتنع فويجو في هذه الرحلة وقد حضرت إلى هناك لا أعرف كيف حاله؟

- إنه بخير وهو في المروج خلف مخزن الغلال لو أردت وسرحك لا يزال في مكانه .

- بالمناسبة أليس عندك جواد آخر؟

- نعم .. لماذا؟

- إن جيسى جاءت معه وأحب أن أصحابها في نزهة معه .

- إن فويجو يمكن أن يحملكم فوق ظهره لو قبلت .

- سانذهب أولاً لازى كيف حال الجواد؟

ترك جاب ابن عمه غارقاً في عملية إصلاح الجرار .

لم تكن جيسى مخطئة : إن بالمزرعة شيئاً حزيننا اليوم ومع ذلك استقبله جواده بفرح عندما اقترب منه ، إن عشر سنوات مضت بعدها عن المنطقة ربما جعلت من جاب شخصاً غريباً بالنسبة للأخرين ، أما بالنسبة للحيوان فإنه عرف في الحال صديق شبابه .

انضمت جيسى للزوجة الشابة فوق الشرفة وهي تحاول قدر استطاعتها إخفاء خيبة أملها أمام حالة البيت المزرية . قالت صاحبة البيت :

- إن اسمى راشيل سان كلير وانت جيسى جيمس أليس كذلك؟

- آه .. بلـى .. هل تعرف بعضاً منـا؟

- لا .. أنا من شادي جروف ولكنني شاهدتـك في المدينة في عدة مناسبات . لقد قابلـني والـتر في الوقت الذي كنت فيه أنت وجـاب تمضـيان وقتـكـما فيـالـجـبـلـ قبلـ رـحـيـلـهـ وهـانـتـمـ مـعـاـ مـرـةـ ثـانـيـةـ لـوـ صـحـ ماـ فـهـمـتـهـ .

استـشـفتـ جـيسـىـ فيـ نـبـرـةـ صـوتـ الشـابـةـ بـعـضـ الـحـزـنـ وـالـشـجـنـ ،ـ بدـاـ الطـفـلـ يـتـمـلـلـ بـيـنـ ذـرـاعـيـ أـمـهـ فـنـقلـتـهـ عـلـىـ جـانـبـهـ الآـخـرـ فـصـبـرـ تـحـسـدـ عـلـيـهـ وـاسـتـمـرـتـ فـيـ الـحـدـيثـ .

- إنـ الجوـ حـارـ جـداـ بـالـنـسـبـةـ لـشـهـرـ اـكتـوبـرـ وـالـنـاسـ يـمـيلـونـ إـلـىـ

استـشـاقـ الـهـوـاءـ العـلـيـلـ بـعـيـدـاـ عـنـ هـنـاـ وـيـقـالـ إنـ الـهـوـاءـ هـنـاـ لـاـ يـتـحـركـ ..

قـاطـعـتـهاـ جـيسـىـ :

- إنـ الجوـ حـارـ فيـ المـدـيـنـةـ أـيـضاـ وـالـنـاسـ تـبـحـثـ عـنـ أـمـاـكـنـ أـكـثـرـ هـدوـءـ وـسـكـينـةـ عـنـ المـدـيـنـةـ .

- حـسـنـاـ إـذـاـ كـانـ لـدـيـكـ رـغـبـةـ فـيـ إـعـادـةـ شـرـاءـ الضـيـعـةـ فـهـيـ لـكـ آـنـاـ

فالجو حار لن يمكنه من حملنا نحن الاثنان واعتقد ان علينا ان نؤجل
نزهتنا إلى مرة ثانية.

قالت :

- الامر ليس خطيرا ولابد من عودتي على اية حال، وشكرا على كوب الماء يا راشيل: وساعود لزيارتكم بشان المزرعة.

بعد عدة دقائق اخذت السيارة الجيب تثير عاصفة من الغبار ورائحتها في الطريق وسط الغابة . غرفت **چيسى** في افكارها وظلت صامتة . وانتظر **جاب** في صبر ان تشاركه فيما يزعجها . قال لها اخيرا :

- وما رأيك لو تزهينا على شاطئ النهر؟

- ليس لدى شعور ان هناك مكانا يمكن ان تركن فيه السيارة . ثم نظرت فيما حولها وهي شاردة . ابتسם :

- بل يوجد وأعرف مكانا أصف فيه السيارة في امان بشرط ان يكون لايزال موجودا .

ذات مرة عبر الكوبري الصغير ثم سار **جابريل** في طريق يتلوى بين الاشجار ليصل إلى مكان مختلف تماما عن الطريق . أبطل المحرك واستدار نحوها :

- أترین؟ لقد عثرت عليه

اعلنت :

- لابد اذك اتيت كثيرا هنا

بالتأكيد فكرت انه اتي كثيرا بدونها قال معترفا وهو يغمض عينيه :

- هذا صحيح

عاد بذهنه للوراء سنوات وسنوات وهو بجانب **لورا** سالتها برقه :

- مع **لورا**؟

ووالتر نرحب في بيتها وان نستقر في **تنبيسي** إنهم يعينون عمالة في مصنع السيارات الجديد

سالتها **چيسى** وهي حائرة :

- هل تريдан بيع المزرعة؟

- لو وجدنا مشتريا فسنبيع **ووالتر** يحاول العثور على مشتري او شكت **چيسى** على الإغماء عند سماعها هذا الخبر : إن **ووالتر** لا يستطيع بيع المزرعة!

لابد عليه ان يفعل ذلك وعليه الانتظار حتى تدبر له النقود ل تستعيدها . تركت جسدها يسقط ببطء على الأرضية ، وامسكت رأسها بين يديها . سالتها **راشيل** :

- هل انت بخير؟ إن درجة حرارتك مرتفعة انتظري وسانذهب لاحضر لك كوبا من الماء المثلج

كانت الناموسية تصدر ضجة مزعجة خلف رأس **چيسى** المنهارة ، رفعت رأسها ونظرت فيما حولها و كانها ترى المزرعة لأول مرة ، كانت شبه مفلسة ولكنها بيتها واخذ قلبها يهدأ لما امام فكرة ان يستحوذ شخص اخر على المزرعة كيف يمكن ان يفعلوا شيئا كهذا؟

داعب الامل **خيال چيسى** وهي تتصور ان استغلالها للمزرعة مهما كان صغيرا : فإنه يقدم لها املا واعدا في المستقبل وهي ايضا صورة تعكس الماضي الذي له أهمية قصوى في عينيها .

احتست **چيسى** كوبا من المياه المعدنية المثلجة عندما عاد **جاب** **ووالتر** للمنزل وهما يضحكان من قلبيهما . سالتهمما بصوت حاولت ان يخلو من التعبير :

- أين **لويجو**؟

- إنه في المرعى وهو نعس لانه لا يستطيع ان يصبحنا في نزهتنا

- نعم لقد كنا ناتي إلى هنا ...

- وهل كنتما تتبادلان الحب

- ليس بالمعنى المفهوم فقد كانت "لورا" من النوع الذي يوافق على شيء ثم تتراجع عنه لقد أصابتني بالجنون

لم تتحمل "جيسي" أن تسمع المزيد حول علاقته بـ"لورا" ... لقد كانت في الماضي على استعداد لسماعه وأن تحاول التسربية عنه همهمت

- إنني سعيدة لأنني استطعت أن أساعدك أما أنا فلم أجد الشخص الذي أبوج له بمشاعري . اتسعت عينها "جابريل" غير مصدق والتفت نحوها . لم يكن يصدق أبداً أن يكون عندها مشاكل :

- كان من الواجب عليك أن تخبريني بها يا "جيسي" .

- ما الذي كان بإمكانني أن أقوله لك يا "جاب" ؟
إنني كنت أتغير جسدياً وعاطفيًا خاصة نحوك .

- هل كنت تحسين بشيء نحوه يا "جيسي" ؟
كان يعلم دائمًا أن "جيسي" تحس بضعف نحوه، ولكنه اكتفى باعتبارها اختًا صغيرة له .

- وهل كان من الصعب ان تتصور ذلك . لقد كنت أجمل صبي في المدرسة تسحر الآباء وكانت لي بالتأكيد قبل ظهور "لورا" في حياتك وكانت أكرهها لأنها أكبر وأنضج مني : ولأنها نالت بالضبط ما كنت أتمناه ، ولكنني كنت أكرهك يا "جاب" - بوجه خاص - لأنك لا تحس بتأثيرك على .

فجأة أحست بالحنق من نفسها: فنزلت من السيارة وجرت نحو النهر . كيف سمحت لنفسها أن تبوج له بكل ذلك؟ لقد سبق أن جرحها عندما باح لها مرة باسراره . قال "جاب" بعد أن لحق بها:

- "جيسي" ! أنا أسف . لقد كنت دائمًا موجودة لمساندتي وأنا كنت

أنا نيا . سامحيني

- ليس هناك ما أسامحك عليه يا "جاب" ، لقد كنت على حق عندما

بحث لي باسرارك .. ألم تخلق الصداقة من أجل ذلك؟

- أنترين يا "جيسي" كم أنت فاتنة؟

همست:

- لست أدرى .. إنك لم تحبني أبداً .

- لقد كنت مجذوناً ولازلت دون شك

- لا يا "جاب" أنت تعرف تماماً ما تفعله، إنك لم تحضرني إلى هنا إلا لتحدثني عن الذهب .

- بل أردت أن أقضي بعض الوقت معك : لقد أردت أن نمنحك نفسينا الفرصة للبداية من الصفر وأن نشرح ونلتقي عند نقطة تفاهم مشتركة . هل تعتقدين أن ذلك ممكن؟

- لا .. لا أعتقد ذلك: إننا نعاني - نحن الآنان - من جرعة زائدة من الذكريات ومن مشاكل لم ننجح في حلها ، وهناك الكثير جداً من الانفعال بيننا . كانت "جيسي" على حق - دون شك - وكان من الأفضل تغيير موضوع الحديث . ربما فيما بعد .. أما الآن فإن وجبة النزهة الخلوية التي أعدتها لها "جيسي" في انتظارهما تمددت "جيسي" فوق ملاعة قطيفة تحت ظل شجرة . وأغمضت عينيها في استرخاء: لقد نفذ الكلام بينهما ولم يبق سوى دقات قلبيهما عندما فتحت عينيها وجدته مهموماً فسألته :

- ماذا بك؟

- إنني أندم على كل ما حدث في حياتي واتساع ماداً كان يمكن أن يحدث لو لم أصب في كتفي ولم أرحل عن البلدة وصارحتك بما كنت أكتبه لك .

فَكَرْ - فِي نَدَمٍ - فِي الْفَشْلِ وَالْعَارِ وَالْمَسْؤُلِيَّاتِ الَّتِي لَمْ يُسْتَطِعْ أَحَدٌ
تَحْمِلُهَا ، فَكَرْ فِي أَمَهِ الَّتِي هَجَرَتْهُ وَهُوَ فِي سِنِ الثَّامِنَةِ وَفِي أَبِيهِ الَّذِي
رَحَلَ هُوَ الْأَخْرُ وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ مُوْجُودًا أَبَدًا مِنْ أَجْلِهِ عَنْدَمَا
أَحْتَاجَ إِلَيْهِ حَقًا وَإِلَى حَبَّهِ .

فَكَرْ فِي جَبَلٍ بِمَكْنَفَائِنَ وَفِي چِيسيِّ وَتَسَاءَلَ: هَلْ سَيَتَّهَيِّ بِهِ الْحَالُ
إِلَى النَّدَمِ عَلَى أَنَّهُ قَابَلَهَا مَرَةً ثَانِيَّةً؟

- لا تندم على شيء يا جاب : إن الماضي يظل ماضيا ولم يعد ملكنا
الآن.

نهضت فجأة ورتبت شعرها وملابسها وقالت
- لابد أن أعود إلى ملهي "تراب الذهب" يجب أن أفكر في .. أشياء
عديدة.

عادا إلى المدينة ووقف "جاب" بالسيارة الجيب أمام الملهي وعندما
استعدت چِيسي للهبوط سالتها
- والآن يا چِيسي ماذا سنفعل ؟

زفرت:
- لاشيء .. ستنقل الذهب إلى مبني "الكابيتول" وكل منا بعدها
يعود إلى حياته.

- أصارحك القول .. إن هذه الفكرة لاتسعدني ..
- دعنا لانعطي لقاعنا هذا واكتشافانتنا اكثـر مما تستحق من أهمية ،
وإذا كنت تخشـي هذه الرحلة فارسل من يحل محلـك وبذلك لن يخشـي
أيـ ما قد يحدث .

- إنـ ما أخـشاه هو ما يمكن ألا يحدث ..
- إنـني أتحـدث عن احتمـال الهجـوم على القـائلة يا جـاب ..

خرجـت چِيسيـ من السيـارة دونـ أنـ تـضـيفـ شيئاـ ودارـتـ حولـ
السيـارة لـتـلـتـحـقـ بـجابـ ، تـبـادـلـ نـظـرـاتـ عـمـيقـةـ لـفـتـرـةـ طـوـيـلةـ . إنـهمـا
يعـانـيـانـ مـالـمـ يـعـانـيـاهـ مـنـ قـبـيلـ : لـقـدـ كـانـاـ أـفـضـلـ صـدـيقـينـ وـحـبـيـبيـنـ ، وـالـآنـ
لـمـ يـتـبـقـ شـيـءـ وـيـجـهـلـانـ مـاـيمـكـنـ أـنـ يـحـدـثـ لـهـماـ . هـمـسـتـ فـيـ رـقـةـ

- شـكـراـ لـأـنـكـ صـحـبـتـنـيـ إـلـىـ المـزـرـعـةـ ، أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـمـسـتـقـبـلـ فـقـدـ
كـلـفـتـ مـنـ زـمـنـ يـعـيـدـ عـنـ وـضـعـ مـشـرـوعـاتـ لـلـمـسـتـقـبـلـ . إنـنيـ أـتـقـبـلـ الـحـاضـرـ
عـلـىـ مـاـ هـوـ عـلـيـهـ . عـادـ "جابـ" إـلـىـ حـجـرـتـهـ وـظـلـ شـارـداـ فـتـرـةـ طـوـيـلةـ

الفصل الخامس

لم تنخدع چيسى لحظة واحدة: كان الجرح الذي في كتف جاب حديثاً وبسبب رصاصة.

لابد أن أحداً أطلق عليه النيران عن عمد وربما كان يريد أن يسبب له العجز مدى الحياة، ثم هل جاء حقاً ليصطحب قافلة الذهب؟ في أيامنا هذه لم يعد أحد يصطحب قوافل الذهب ولا حتى يهاجمها، والفكرة كلها تثير السخرية والاستغراب.

وكذلك فكرة إصابةه برصاصة مسدس حيرتها أيضاً. إنها لا تعرف مصدر رزقه، ولكنه بالقطع لا يعمل نصاباً، ومن الواضح أن المأمور يعرف الأسباب الحقيقية التي قادته إلى بلاده الأصلية، ولاشك أنه ليس مشتركاً في مؤامرة مع المأمور.

ومع ذلك فإن جاب لايزال من آل سان كلير وهو لن يغير من المعطيات والنتائج. إن جرحه حقيقة واضحة وكذلك المذكورة التي

وجدتها تحت عقب الباب والتي تقول: إنه ليس كما يدعى .. فلا تأمني له .. ظلت مذهولة عدة دقائق وهي ترتجف.

لقد رحل جاب من عشر سنوات وقضى ثلاث سنوات في الجامعة، وسنة بلاعب كرة القدم مع فريق ميامي المحترف ثم اختفى من على سطح البسيطة.

ربما قضى وقتاً في السجن؛ والآن وهي تستعد لنقل الذهب الخاص بجدها إلى آتلانتا هو يظهر ثانية.

لقد اعتاد آل سان كلير نهب ما يخص آل چيمس، كما أن جاب لا يظهر إلا إذا كان يريد شيئاً منها. بدأت خطته تدور في ذهن چيسى التي أحسست بأنها ممزقة بين عواطفها نحو جاب وواقع الأمور والحقائق، لابد أن هناك فائدة في نصف كيلو الذهب هي التي دفعت جاب للعودة للجبل، ولكن ما هو الدافع بالضبط؟ ليست لديها التي فكرة.

على أية حال ففي أول ساعة من صباح يوم الاثنين ذهبت چيسى إلى البنك لتطلب قرضاً ثانياً بهدف شراء مزرعة والقر، ثم ستنذهب بعد ذلك للتنتفيس لآخر مرة على ذهب جدها بوب وإنه لايزال موجوداً في الخزانة التي وضعته فيها، وعلى چيسى أيضاً ان تجد طريقة تهز بها جاب بوسيلة أو أخرى.

صباح هذا الأربعاء ربطت البقال عند مدخل المدينة في العربات المغلقة التي كانت تستخدم في السباق في الطرق البرية، والتي ستنتقل الذهب.

كان جاب والأخرون في انتظار وصول المأمور ومساعديه بحملتهم الثمينة. لم تكن چين عن أن تردد في إثارة: إنه لأمر مثير حقاً .. عربة مصفحة حقيقة!

الذهب إلى "جيسي" والمأمور ، الذي وضع الخزانة في صندوق موجود في العربية التي يصاحبها "جاب" ، ثم سلم المفاتيح لـ "جيسي" . كان "جابريل" وهو يلاحظ هذه الإجراءات يتأكد أن في جيبيه المفتاح الثاني المشابه للمفتاح الذي على "جيسي" أن تتحفظ به: ليس ذلك لأنه يفقد الثقة في صديقته ولكن الرسالة التليفونية الثانية التي تلقاها لتوه أقلقته.

وكانت الرسالة وصلته في نفس الصباح في مكتب "جوي" الذي كان يجهل مصدرها والتي تقول:

احذر الخارج عن القانون: لص يتسلك بالليل.

كان "جاب" قد اتصل بناء على ذلك برئيسيه بين ليطلب من المحافظ تعزيز الحماية حول الذهب . ومن ناحيته قرر "جوي" أن يبعث حراسة من مساعديه ، ورغم أنه كان يعلم أن الأمر لا يتعلق إلا بشخص متعدد تافه إلا أنه لم يكن عنده أي شك ، فبخلاف "جيسي" فإن آل "جيسم" يكونون عائلة من الفاسدين وهم مثل آل "سان كلير" يعملون جميعاً على إفساد الأمور، ونقطتهم القوية الوحيدة حسب ما يرى "جاب" أنهم انجبووا متمرة تسمى "جيسي" . ومن ناحية أخرى كان الوحيد الذي يمكن أن يوصف بالشرعية هو "جابريل" ، وهكذا يمكن أن يقال إن الأسرتين متعادلتان.

اعطت "جيسي" إشارة الرحيل. هز "لوني" اللجام ورفع فرملة العربية فانطلقت البغال.

كان "جاب" قلقاً : فمنذ عمله مع مكتب التحقيقات المركزي وجد أنهم يوكلون إليه مختلف المهام ولكن هذه المهمة تبشر بأنها ستكون أكثر المهام دقة . ولد لو تحدث مع "جيسي" ، ولكنها بدت غارقة في أفكارها فلم يجرؤ على إزعاجها

إن لدى إحساساً باهتني في عصر الرواد .

قال "لوني" مازحاً :

- ذلك لأنك تعرفين أنك لن تضطرري لقيادة تلك البغال . إن تلك الحيوانات اللعينة لا يمكن التحكم فيها إنني أحس بالتهاب قدمي مقدماً.

امتنعت "جيسي" بغلتها وسمعت وهي شاردة- الرجل العجوز وزوجته وهما يترثان ، وبعد أن أقسمت الا ترى "جاب" مرة ثانية قبل رحيل القافلة اكتشفت في دهشة واسف انه هو أيضاً اتخذ نفس قرارها.

لمست الورقة الصغيرة التي احتفظت بها في جيبيها وتساءلت: إن كانت تربتها لـ "جوي سان كلير" المأمور ، ثم رأت أنه من الأفضل إلا يسمع "جاب" عنها . زفرت وصبت عصبيتها على بغلتها التي أخذت تتململ في عدم صبر.

أعلن "جاب" الجالس على الجانب الآخر من العربية المصفحة

- هل كل شيء على ما يرام يا "جيسي" ؟
ردت عليه وهي تشير إليه بيدها :

- نعم كل شيء على ما يرام .

كان بقية أعضاء القافلة يقودون عربات المزرعة وعربات كارو . وحتى عربات محملة بالعلف من أجل البغال وفي نهاية القافلة سيارة محملة بطعام أعضاء القافلة.

أخيراً سمعت صفارارات سيارات الشرطة لقد وصل الذهب ، كان المأمور ومساعدوه و "جاب" قد قابلوا "جيسي" عند البنك في الساعة التاسعة تماماً ، وفتحوا الخزانة الخاصة المغلقة بالشمع والختومة والتي تحتوي على سبائك الذهب ، ثم وقعوا الأوراق التي تؤكد نقل

على العثور على النعاس؛ كان جاب قد رحل ليغتسل الجوار للتأكد من عدم وجود أي هنود يهددون المخيم وبعد لحظات طويلة من الانتظار اكتشفت أنها تحس بالاضطراب بسبب غيابه.

نهضت دون أن تحدث صوتاً وعبرت المخيم في صمت والذي كان بصعوبة مضاء بضوء التيران الخابية، ثم اتجهت نحو النهر مخترقاً الغابة ربما لو غطست قليلاً في الماء يساعدها على نسيان أفكارها التي تهاجمها من أيام.

وصلت إلى حافة الماء واكتشفت أنها ليست الوحيدة التي خطرت عليها فكرة الغطس في الماء.

كان هناك شخص يعبر النهر ويسبح نحو الشاطئ المقابل. اكتشفت خلف شجرة وتعرفت على «جابرييل سان كلير» حيث كان شعره الأشقر يلمع تحت ضوء القمر وصل إلى الشاطئ وخرج من الماء؛ ذهلت «جيسي» وهو يختفي خلف الأشجار وتساءلت: ماذا يفعل هناك في هذه الساعة؟ هل يحاول الإفلات في هدوء؟ وإلا فلماذا ترك المخيم إذن؟

انتظرت الشابة ثم أحسست بعدم الصبر، فقررت أن الوسيلة الوحيدة لعرفة ما يجري هي أن تعبر النهر إلى الشاطئ الآخر مثله.

انزلقت وسط الماء البارد بعد أن خففت من ملابسها. كانت سباحة ماهرة لم تخش التيار ولا برودة الماء، ولكن فجأة وهي في منتصف المسافة داخل النهر؛ أحسست بالم شديد في فخذها.. لقد أصبت بشد عضلي. كيف نسيت أن عضلاتها تكون على استعداد للتقلص نتيجة ملامستها الماء البارد؟

غطست إلى الأعماق ومجهود رهيب يائس صعدت على سطح الماء

حوالى منتصف النهار توقفوا ليريحوا البغال والجیاد، وأحس جاب بالتصلب في أعضائه بينما تحمل «فويجو» التعب إلا أن راكبه لم يكن قد شفى تماماً من إصابته فضلاً عن نقص تدريبه مما يبشر بتعب شديد.

وفي نهاية النهار قرروا إقامة المخيم بالقرب من مدينة سيلفر، صف جاب العربات على شكل دائرة وكأنهم يتوقعون هجوماً من الهنود الحمر. ثم تأكد بعد ذلك من أن الحيوانات تمت تغذيتها ومداواتها بالمرام والمطهرات قبل الليل، وحاولت «جيسي» أن تتجنب أي اتصال به وهي تشرف على نيران المعسكر وإقامة الخيام.

ثم تأكدت من أن الخزانة لاتزال مختومة بالشمع الأحمر ومحاطة بالخيط الرفيع الذي تبنته حولها وهي في أمان داخل العربية المصفحة، إنهم سيصلان إلى «أتلانتا» يوم السبت حيث تبدأ الاحتفالات بنكرياً هجنة الذهب.

وعندما يكون «جابرييل» أكمل مهمته ويرحل وتعود الحياة إلى مجريها الطبيعي.

مفاجأة غير سارة عندما أدركت أن هناك مرتبة مقرودة بجوار مرتبتها تحت عربة الذهب همت بالسؤال عنمن يشغل المرتبة عندما قاطعها صوت عميق يقول ببساطة:

- أنا «جاب» يا «جيسي»؛ يجب أن نتبادل السهر حتى نتأكد أن حراسة الخزانة مؤمنة.

- ولكن ..

لم تلح «جيسي»، لقد كان على حق: إن الأمر يتطلب أكثر من فرد ليضع عينيه واذنيه على الذهب وفي تلك الليلة بينما المسافرون والحيوانات مستغرقة في النوم، أخيراً أحسست «جيسي» أنها غير قادرة

وصرخت :

- التجدة!

سمعت ضجة شخص يغطس في الماء

ثم سحبها بقوة وجسم نحو الشاطئ الذي بدأت الرحلة منه وقال :

- لا تخافي ياً جيسي .. أنا لن أتركك

- جاب؟

عندما وضعها وهي ترتجف على العشب الندى بجوار ملابسها

الجافة سالها :

- هل يمكنني أن أعرف ما الذي تفعلينه في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

قالت له وهي لازالت تحت تأثير الصدمة:

- أستطيع أنا أيضاً أن أطرح عليك نفس السؤال.

- حسناً سأجيبك .. لقد كنت في حاجة إلى استنشاق الهواء والاسترخاء.

لم تكن ترى وجهه في الظلام. ردت عليه في حدة:

- أنا لا أصدقك .. إن عندك موعداً مع شخص ما على الجانب الآخر من النهر.

- أهـ هـ ! وهـ هل رأـيتـ شخصـاـ ماـ ؟

- لا .. ولكن هناك شخص وأنا واثقة من ذلك من هو ياً جاب؟

- أقسم لك بشرفـيـ ياً جـيـسيـ أنه لا يوجد أحد آخر سواـيـ . ويـجبـ أن تـصـدقـيـ : إنـيـ لـنـ أـفـعـلـ أـبـداـ ماـ يـمـكـنـ أـنـ يـجـرـحـكـ أوـ يـضـرـكـ.

تمددت واسترخت بيطله وهي تزفر: إنـهاـ لـاتـصـدـقـهـ وـجـابـ يـعـرـفـ ذـلـكـ، ولكنـ كـيـفـ يـمـكـنـ أـنـ يـخـبـرـهـ أـنـ سـمـعـ صـوتـ سـيـارـةـ فـيـ المـرـوجـ؟

لـابـدـ أـنـ يـفـعـلـ شـيـئـاـ يـشـتـتـ اـفـتـاهـهـاـ.

قال هامساً :

- لقد اشتقت لك كثيراً ياً جـيـسيـ فلا تحاولي أن تبدئي الهروب مـنـيـ مـرـةـ ثـانـيـةـ.

- لا ياً جـابـ أـتـركـنـيـ أـرـحـلـ لـأـنـنـيـ أـشـعـرـ بـالـبـرـدـ نـهـضـتـ مـرـةـ وـاحـدةـ وـارـقـتـ مـلـابـسـهـاـ بـسـرـعـةـ فـوـقـ مـلـابـسـهـاـ الدـاخـلـيـةـ الـمـبـلـلـةـ ثـمـ سـارـعـتـ نـحـوـ الـخـيـمـ ،ـ وـهـنـاكـ أـخـذـتـ تـرـجـفـ مـنـ الـبـرـدـ .ـ وـالـانـفـعـالـ وـجـفـفـتـ نـفـسـهـاـ ثـمـ اـنـدـسـتـ فـيـ جـوـالـ النـوـمـ .ـ

وـكـمـ كـانـتـ كـلـمـاتـ أـغـنـيـتـهـاـ تـقـولـ :ـ إـنـهـ تـحـسـ بـاـنـهـ سـتـصـابـ بـالـجـنـونـ .ـ

لـمـ تـتـحـرـكـ ياً جـيـسيـ عـنـدـمـاـ لـحـقـ بـهـاـ جـاـبـرـيـلـ تـحـتـ الـعـرـبـيـةـ .ـ وـسـمـعـهـاـ تـتـنـفـسـ بـالـقـرـبـ مـنـهـ .ـ

عـنـدـمـاـ عـادـ جـابـ إـلـىـ الشـاطـئـ اـنـضـمـ إـلـىـ لـوـنـيـ تـحـتـ خـيـمـةـ الـشـورـتـ وـسـالـهـ :

- هلـ أـخـذـتـ الـخـزانـةـ؟

- نـعـمـ وـأـنـاـ وـاثـقـ مـنـ أـنـ أـحـدـ رـأـيـ لـأـنـنـيـ فـيـ لـحـظـةـ الـإـسـتـبـدـالـ عـمـلـتـ جـيـنـ عـلـىـ تـهـدـيـةـ الـبـغـالـ .ـ

- اـحـتـفـظـ بـالـنـسـخـةـ الثـانـيـةـ مـنـ الـمـفـتـاحـ ياً لـوـنـيـ وـخـبـيـ الـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ

أـعـودـ لـأـخـذـهـ .ـ

سـالـتـهـ جـيـنـ الـقـيـ أـحـسـتـ بـالـذـنـبـ الـرـهـيـبـ :

- هلـ تـقـنـنـ أـنـ هـذـهـ هـيـ الـطـرـيـقـةـ الـوـحـيـدـةـ ياً جـابـ

أـنـاـ لـأـحـبـ أـنـ أـخـدـعـ جـيـسـيـ فـإـنـهـاـ لـنـ تـغـفـرـ لـيـ أـبـداـ

- نـعـمـ ياً جـيـنـ هـذـهـ هـيـ الـوـسـيـلـةـ الـوـحـيـدـةـ الـتـيـ أـضـمـنـ بـهـاـ أـنـ يـكـونـ

الـذـهـبـ فـيـ أـمـانـ لـنـ يـشـكـ أـحـدـ فـيـكـ وـلـاـ فـيـ لـوـنـيـ .ـ

كانـ هوـ أـيـضاـ يـكـرهـ فـكـرـةـ أـنـ يـخـدـعـ جـيـسـيـ وـلـكـنـ لـيـسـ لـدـيـهاـ أـيـ سـبـبـ

- ما الذي كنت تقصدنيه وانت تعدين زوجة والتر بالعودة للحديث معها؟

- اردت ان اقدم لها عرضا لإعادة شراء المزرعة: إن والتر لا يريد العناية بها ويأمل العثور على عمل في تيفبني.

- لست افهم. انت تقولين: إن ذلك المكان يبدو لك حزينا جدا اليوم. قالت تذكره في جديه:

- انه منزلني يا جاب، وأحس ان مكانى هناك. حتى وإن لم اسكنه من زمن بعيد.

قال وهو يحاول أن يثبط من عزيمتها:

- أتعرفين ان المكان الذي يرتبط الانسان به بعمق يتحول إلى سجن. إنه ليس مكانا ككل الأماكن يا جاب. إنه كل ما تبقى لي من اسرتي. وهناك عندما كنت طفلا احسست باننى محبوبة، وهناك توجد جذورى التي أنا في حاجة لاستردادها.

إنها تقول إنه هناك تحس بانها محبوبة. أبدا لم يحس جاب بهذا النوع من العاطفة عندما كان يعيش في الجبل. قال معرفقا: - لقد اقرضت والتر مقدما الثمن لشراء هذه المزرعة وهو ما يمثل اخر صلة لي باسرتي.

ولهذا السبب احتفظت بـ فويجو طوال هذه المدة ورعاه وسكنون العنباك الوحيد الذي سيبقى هنا ولن يكون هناك سياح ليأخذوا مكانه عندما يموت.

- لقد كنت أظن أن الناس في الجبل نوع خاص. وهؤلاء الذين يأتون للإقامة بعد عمك في تلك المنطقة في شمال جورجيا وسيعيشون حياة مختلفة تماما عن تلك التي عاشها السان كلير. سال جاب وهو حائز من اعتراف الشابة:

لأن تشك في أن چين استبدلت الخزانة الأصلية باخرى مشابهة تحتوى أحجارا.

لم يشعر جاب إلا عند الفجر. وسرعان ما استيقظ على ضجة شاغلي المعسكر الذين يتحركون في نشاط كل الاتجاهات.

وعندما نهض احس بان كل جسده يقاومه بشدة: إن الالم العضلي عادته مرة ثانية.

كانت السماء محملة بالغيوم مما لا يبشر بخير، وسيهطل المطر قبل المساء، لم يكن ذلك يضايقه لأن لديه معطفا وقبعة ضد المطر، ويستطيع أن يتحمل الوقوف تحت المطر لساعات ولكن چيسى ليس لديها ما يحميها ولو أمطرت ففي دقائق ستصبح مبللة حتى العظام، وهو يعرفها جيدا، وأنها لن تقبل أبدا أن تختفي تحت سقف إحدى العربات.

ثم تساحل أين هي فعلا الان؟ كانت مرتبتها ملفوفة في ركن وجهاز نومها مطويها بعتاية على جانب من المربطة، ظهرت چيسى ثانية دون أن تقول ماذا كانت تفعل؟ ثم انضمت للمجموعة حول وجبة إفطار شهية. في تلك اللحظة اختار الزوجان المسؤولان عن عربة التموين الغذائي ليعلما أن الزوج يعاني من مغص في معدته: وبناء عليه يجب أن يعودا إلى نهلوانيا. قبل لوني وچين أن يحل محلهما بينما تولى جاب زمام العربية المصفحة حيث ربط في نهايتها فويجو وجلست چيسى بجواره تساعده في قيادة البغال. في الوقت الذي انطلقت فيه القافلة حتى تعود إلى الطريق. بحث جاب عن موضوع للحديث، ثم تذكر فكرة قالتها چيسى ودهش لها عند زيارتها للمزروعة. سالها:

بعد فترة صمت طويلة اعلنت **جيسي** فجأة:

- إن اسرتك لم تفهم ابدا لماذا تمكنت بالاحتفاظ بهذا الشريط من الأرض بطول النهر رغم أنه لا يصلح للزراعة أو بناء اي شيء عليه.

لقد حاول جدي بوب أن يعثر في تلك الأرض على ذهب ولكنه فشل، ولكن تصور للحظة أنه كان على حق في اعتقاده بوجود الذهب.

اعترف **جابريل**:

- لا غرابة في ذلك .. لا يزال هناك بضعة مناجم في شمال **جورجيا** على قدر معرفتي.

- نعم ولكن عائدها صفر ، كان بوب يعتقد أن عرق ذهب يجري على طول الشق الموجود على جانب الجبل ، والذي يأتي من شمال **كارولينا** إلى **الباما** . من يدري .. إننا نهم بانشاء منجم هناك، فلربما في يوم من الأيام اعثر على ما لم يعثر عليه بوب إذا نجحت في منع عمك باك من أن يضع يده على هذا الشريط من الأرض . ولو لا حاجتي اليائسة للمال لما فكرت أبدا في بيعها.

كانت الأمطار لاتزال تهدد بالسقوط عندما وصلوا إلى بحيرة **لاينز** وقد توقع الرواد الذين أرسلوها في المقدمة ، توقعوا طقسًا سيئًا فنصبوا المخيم ونيران المعسكر واعدوا وجبة للجميع ، كما تمت معالجة الحيوانات وإطعامها.

عندما عادت **جيسي** لتندرس في جوال النوم في وقت متأخر ندمت لأنها لم تغرن كما فعلت بالأمس، ولكن الليلة كان الهواء رطبًا ولزجا الأمر الذي جعل البغال تتصرف بعصبية، وعكر من مزاجها . بقي نهار من السير وليلة تحت ضوء القمر وبعدها يصلون إلى **أتلانتا** . حتى تشعر **جيسي** بالاسترخاء والهدوء أرادت أن تهبط للإستحمام في البحيرة ، ولكنها تراجعت : كانت تخشى أن تقابل مخلوقاً يكون في

- وماذ ترين أنت في ذلك؟

- عندما انتظرت عودتك ولم تعد على الإطلاق هل عند مقابلة **لورا** بعد انفصلنا ؟

- **لورا** ...

احتاج للحظات ليتذكر من هي **لورا** . في هذه اللحظة لم يكن **جاب** يرى سوى شيء واحد وهو أن **جيسي** انتظرته وأنه لم يعد إليها .

قال معترضاً بصوت حزين :

- لقد اتصلت مرة واحدة عندما جئت لحضور مراسم دفن أبي ولكن لم أرها .

شرحت **جيسي** :

- لقد تزوجت من أحد رجال البنوك ، ولديهما ثلاثة أطفال ، ولكنها تحس أنها معزولة .

هذا غريب أن أصبحت حكايتها مجرد ذكرى وأصبحنا أنا وأنت صديقين .

- لماذا لم ترحل بعد الجامعة يا **جيسي** ؟ إن مكانك الحقيقي ليس هنا : أنت ذكية ومتقدمة وطموحة ، ما الذي يربطك هنا

- لا استطيع أن أرحل يا **جاب** ، أنا الوحيدة من عائلة **جيمس** التي على قيد الحياة ، إن جذوري في **دهلونيجا** ومكاني هنا ، ولكن كيف أجعلك تفهم هذا وأنت لست في حاجة لمراها أدنى مثلي ؟

لو فهم **جابريل** فإن آخر أفراد عائلة **جيمس** . اختلفوا الواحد تلو الآخر ، ولم يتركوا لها سوى الجبل تتعلق به . إن جبل **بامكتفابين** هو المتبقى من عائلتها .

فلا يسيران أكثر من ساعة جنبا إلى جنب وهما يتبادلان الذكريات العزيزة عليهم ، ولكن يخشى أن تصبح خطيرة لكليهما .

انتظارها خلف الاشجار.. ذلك هو "جاب سان كلير" كانت المعركة بين العائلتين تزداد اليوم عملاً أكثر من اي وقت مضى ، عدا أنها حالياً أصبحت تلك المعركة مسألة شخصية لأنها لاتهم سوى "جيسي" و"جابريل".

الفصل السادس

كانوا في منتصف الطريق بين بحيرة "لابينز" وجبل "ستون" ، وعندما توقفت القافلة من أجل تناول وجبة الثانية عشرة أصبحوا متاخرين بطريقة ملحوظة كما أن السماء ازدادت تهديداً. هبطت "جيسي" من المركبة لتفرد عضلاتها المرهقة من الاهتزاز المستمر للعربة ، لم يكن لديها أي مزاج للرد على الصحفية التي يتبعها مصور صحفى وهو ينتظراً والميكروفون في يده سالتها دون أن تنتظر ناكيدا من جانبها.

- الأنسنة "جيسم" ؟ أنا "اميلى موران" من شبكة "ويكسينا" للتليفزيون .. هناك إشاعة تسرى أن القافلة ستتعرض للهجوم من في رايك نصدق؟

تدخل "جاب" في غضب جامح
- من قال لك هذا ؟

تنتهي من يوم من السير
قالت الصحفية وهي مشوشة بعض الشيء:
- لقد فهمت .. في هذه الحالة . يمكننا الحديث مباشرة عنك، إن هذا الذهب الذي تنقلونه إلى "أتلانتا" .. هل استخرج من المنجم بواسطة جدك؟

أجابتها "جيسي" بلهجة جافة:
- بالضبط .. يبدو أنك على علم بذلك .
- إنها مهنتي ياًنسة "جيمس" ولكنني أريد أن تحكي لي عن تلك المعركة التي فصلت بين العائلتين من فترة طويلة .
- أي معركة؟
- تلك التي جعلت آل "جيمس" ضد آل "سان كلير". هل صحيح أن السيد "جيمس" تنازل حقاً عن المنجم بعد أن خسر في البوكر أمام سان كلير؟

تدخل "جاب" مرة ثانية والذي لم تفته كلمة من الجدال الواقع بين المراطين .
- بالضبط هذا ما حدث ولكن كل هذا أصبح نسبياً منسياً من زمن بعيد .
- هل تقصد أنه لم تعد هناك معارك بين العائلتين؟

أجاب "جاب" وهو ياتي لجلس بجوار "جيسي":
- على الإطلاق ياًنسة ، أنا نفسي من "سان كلير" و "جيسي" من "جيمس". لقد وضعنا نهاية لخلافاتنا التي كانت تجعلنا ضد بعضنا البعض نكون أنا وهي اليوم فريقياً لحراسة قافلة حتى مبني

- مكالمة تليفونية ياسيدى . مجهرولة المصدر طبعاً ولكن المتحدث يبدو أنه يعرفك . الم تقابل ذلك الشخص خلال الإذاعة حول .. طبع "جاب" قبلة خفيفة على جبين الصحفية وقال :
- صباح الخير ياًنسة "موران" سعدت برؤيتك. تجاهل الشاب نظرتها التي تجمع بين الحيرة والسعادة وسحب الصحفية إلى المكان الذي وضعت فيه البغال متجاهلاً نظرتها الحائرة .
تساءلت "جيسي": من أخبر الصحافة؟ لقد وعد المامور بالحفاظ على سر التهديد بالهجوم المتوقع على القافلة ثم ماذا يمكن أن يحكى "جاب" على تلك الصحفية؟ أحسست الشابة بالسرور عندما عاد الاثنين إلى مكان وقوف "جيسي" وأعلنت :

- ليس لدى وقت ياًنسة "موران" .. كيف يمكنني أن أفيوك؟
- إنني أود أن أصور القافلة وأطرح عليك سؤالاً أو اثنين .
- حسناً .. إذن لنجلس هناك .

اتجهت "جيسي" تتبعها الصحفية نحو مجموعة من الأشجار واحتضنها على بيتي كوكا . قالت مفترحة على الشابة الصحفية وهي تشير إلى جذع شجرة مقطوع
- أجلسي .

ربت الصحفية بباب:

- لا . شكراً .. إنني أفضل تصويركم أمام العربية .
- اتعرفين أن "هوراس" لن تقبل ذلك .
- من هي "هوراس"؟
- البغة التي في مقدمة القافلة : إنها لاتحب أن يزعجها أحد عندما

القاقة من المضي قدماً . لابد أن نصل إلى حديقة جبل ستون قبل
هبوط الليل .

أخذتْ جيسي تفتش في مخلة متعلقاتها وأخرجت منها ببطولنا
من الجينز جافا وقميصاً للتبدل ملابسها المبتلة وقد بدا عليها الغضب
سألها في دهشة :

- هانت تعوين إلى غضبك ! ولكن لا بأس لأنك على الأقل توجهين
لي الحديث . لم يحن الوقت لتفقد هذة أثناء الرحلة ؟

- لقد كذبتك عليك عندما وعدتك بعدم الغضب .

تساءلت : هل «جاب» هو الذي فتح الصندوق ؟

وكيف استطاع أن يفعل ذلك ؟ فسألته وهي تأتي لتجلس بجواره على
أريكة القيادة :

- عن أي شيء كنتما تتحدثان أنت والصحفية ؟

وهل سبق لكما أن التقىتما في مكان ما ؟

قال شارحاً بحركة مبهمة من يده :

- لا ... لقد أنسات الفهم .

قال في نفسه ما أهمية أن تعرف مهنته الحقيقية ولو أن هناك من

ينوي سرقة الذهب فبالتأكيد هي ليست هذا الشخص . قالت :

- الأمر لا يهمني ، وأيا كان ما تقوله لتبرئ نفسك فإنني أعلم أنها
اكاذيب .

رد عليها بحدة :

- لست مضطراً للتبرئة نفسي ، ولكنني ساحكي لك كل شيء لو أردت ،
ولكن فقط دعوني أفعل ما يجب علي أن أفعله .

الكامبيتوول :

ومع ذلك بدت الصحفية لاتريد ان تخفف من قبضتها ، بينما الكاميرا
تصورهم .

قالت :

- وماذا عن الضجة التي تسري حول هجوم متوقع على قافلة الذهب ؟
لا يوجد أي اثر لخارج على القانون في المنطقة ؟

قالت جيسي مؤكدة وهي تنهض :

- لا ... أنا أسفه وإذا احتجت إلى أية معلومات اطلبيها من «جابriel»
إذ يبدو أن لديه كل الإجابات .

بعد لحظات انفجرت السماء فوقهم والقت بسائل من الماء كالطوفان
جعل الآنسة موران تندفع هاربة إلى سيارتها المبنية شاحنة عند عودة
جيسي إلى العربية المصفحة ومالت على الصندوق الذي يحتوي خزينة
الذهب : لتنتأكد من أن الذهب لايزال موجوداً .

امسكت في يدها كشاف بطارية وازالت القش المحيط بالصندوق :
لتكتشف في ذهول أن الخيط المعدني الرفيع الذي ثبّتها غير موجود ،
ومع ذلك عندما فتحته وجدت الخزانة تبدو سليمة لم يمسسها سوء .

تساءلت :

- من استطاع أن يفعل ذلك ؟ ومتى فعل ذلك ؟
كانت مبهوتة كلية وأغلقت الصندوق في اللحظة التي انضم إليها
فيها «جاب» سالته بصوت مرير :

- ماذا تفعل ؟

- سنستأنف السير يا جيسي .. ليست الامطار هي التي ستمنعني

- أنت لاتفهم الامر . ولم يحاول احد من قبل ان يفهم : إن الموسيقى
 ليست سوى حلم وخیال .
 - مثل حقيقة البحث عن الذهبليس كذلك ؟
 - ربما ولكن هذا الجبل هو الطريق الذي يقودني من الماضي إلى
 المستقبل ولحظة أن يختفي من حياتي فلن يتبقى شيء بعد ذلك .
 - ربما لا افهم في الواقع ، ولكن على العكس اعتقاد أن المرء يحدد
 لنفسه طريقه .
 أحسست جيسي بالمطر يتسلل إلى عنقها بينما قادة السيارات
 حولهما يحاولون في عصبية تجاوز القافلة . ردت قائلة :
 - أنت لاتقدر هكذا إتك وحيد يا جاب .
 - أنا وحيد ومرت عشر سنوات منذ اخترت ذلك .
 - وأي وجود تعيشه ؟
 - عندي مهنة أحبها ، وشقة صغيرة ، وبعض الأصدقاء .
 - أصدقاء حميمون كما كنا أنا وانت في الماضي ؟
 - لا-في الحقيقة - إن هذا النوع من الصداقة التي تشيرين إليها
 لاتحدث دائمًا .
 أوشكت أن تسأله: لماذا إذن هرب من تلك الصداقة النادرة؟ ولكنها
 بدلاً من ذلك سالتته :
 - وهل هذه الحياة تكفيك وتسعدك ؟
 - في لحظة ما اعتقدت ذلك، ولكنني الآن لست أدرى .
 - وهل وقعت في الحب من قبل ؟
 - لا .. لا أظن !

- ماذَا ؟ ان تسرق ذهبياً او تحاول إغواطي مرة ثانية ؟
 - أنا لا أريد ان أسرق لأمالك ولا أرضك ولا ...
 - ولا قلبك؟ أليس هذا ما تقصده؟
 - إنني أفكر في حبك .
 - لا تشغل بالك بي فإبني لن احب أي شخص .
 - ولا أنا كذلك . تصوري هذا : إن لدى إحساساً انك تبحثين دائمًا
 عن تجربتي وتبدين دائمًا الضحية . مثلاً ما تفعلين هنا تحت المطر
 في حين انه باستطاعتك ان تتجنبي للداخل لحمايتها ؟
 - إنني أقوم بدوري حتى النهاية : إن الرائدة الحقيقية لاتختفي
 داخل العربية عند سقوط اول قطرة مطر ، إنها تجلس بجوار رجلها .
 ثم إنني لا اعتبر نفسي ضحية او شهيدة على الإطلاق .
 قال وهو يشتراك معها في الغطاء الذي يحميه :
 - ولكنك تعتبرينني رجلك كما تتولين .
 قالت تذكرة :
 - لقد قلت لك في التو: إنني ساؤدي دوري حتى النهاية ولا ادعى
 شيئاً .
 - ما الذي حدث يا جيسي؟ لماذا كونك بجواري يجعلك تضطربين
 لهذه الدرجة ؟ لقد اعتقدت اننا بدأنا نتفاهم
 - إن امرأة من آل جيمس لن تتفاهم أبداً مع رجل من سان كلير:
 أبداً .
 - هانت تعودين مرة ثانية وتحولين علاقتنا إلى معركة مثل تلك التي
 فرقت بين عائلتينا .

بدأ المطر يهطل وماما زاد من تعقد الامور ان الريح بدأت تزداد بروادة،
ووصولهم إلى حديقة جبل ستون لن يكون في مقله الانتصار الذي
اعلنت عنه جين والذي تخيله جيسي.

###

عندما وصلوا أخيراً إلى مكان الاحتفال كان الليل قد هبط والأمطار
والضباب يحجب عنهم الرؤية للمنظر الطبيعي الرائع الذي تقدمه
الجبال الصخرية، وكان من الواضح أن مشهد الصواريخ المفروض أنها
ستنطلق في السماء عند وصولهم قد الغي، فقد كانت الحديقة خالية.
شرححارس عند مدخل الحديقة العامة أن مخيّمهم أقيم تحت
الأشجار حول البحيرة. كان من الواضح أن جيسي تعرّضت ومتلاجة
وجائعة، وهي تساعده جاب في إطعام الحيوانات وووضعها بما من في
الليل.

بينما هما مشغولان في العمل حاولت جيسي تجنب النظر إليه، لقد
كانت منهكة ولا تحس إلا بالأسف، لقد وصلنا إلى نهاية الرحلة وهي
تشعر برغبة ملحة أن تصفع مسافة تفصل بينهما.

فكرت أنه في الغد سينتهي كل شيء وشعرت بالارتياح: لم يكن من
الواجب عليها على الإطلاق أن تقبل مرافقة القافلة. كان من الممكن نقل
الذهب إلى "أتلانتا" بعربة مأمور الشرطة لم يعد أمام جيسي سوى أن
تظل تحرس الذهب بانتباه انتظارا للصن أن يظهر.

تركـت جـيـسي جـاب يـنتـهي من إطـاعـمـ الـحـيـوانـاتـ وـتـاكـدـتـ هيـ مـنـ أنـ
لـوـنيـ وـجيـنـ قدـ استـقـرـاـ فـيـ أـمـانـ فـيـ حـمـاـيـةـ خـيـمـهـماـ،ـ لـمـ دـهـبـتـ
لـتـحـضـرـ ماـ تـاكـلـهـ هيـ وـجاـبـ.

وكيف يمكن أن يفعل؟ إن "جاب" لم يحاول أبداً التقرب من أي امرأة
بالدرجة التي تسمح له بالوقوع في حبها قال:
- ولكنني عشت بعض التجارب العاطفية غير المهمة.

- هل ترى أنني أعتقد أنك شخصية أخرى غير تلك التي تحاول أن
تبعد عنها؟

- اللعنة عليك يا جيسي! ليست لدى نية سرقة ذهبك إذا كان هذا ما
تخشيه!

- هذا أفضل لأنك لو فعلت لوجدت في انتظارك مفاجأة غير سارة.
إنه يكتب عليها وهي متاكدة من ذلك، ولكن الذي يعذبها أكثر هو
أنها هي نفسها تكتب عليه في هذه اللحظة: ليست هي الوحيدة التي
تعرف أن الخزانة الموجودة في الصندوق خالية؟

زفرت جيسي: إنه الذهب! لقد كان السبب في النزاع الذي حدث
بين العائلتين.. ذلك النزاع الذي يختفي كل منهما وراءه عندما يجد أن
العاطفة تجاهه نحو الآخر.

عندما أدار جاب رأسه نحوها لاحظ تغير التعبير على وجهها ما
الذي سيجري لها لو عرفت الحقيقة، ومنى ستعرف أنها كانت المشتبه
فيها الوحيدة؟ لقد أوصى بين تماماً لا يكون هناك أي بصمة على
رسالة "جوبي" ، ولكن "جوبي" كتب الرسالة على ظهر ورقة دعاية عن
مشروب مقو يوزع مجاناً في ملهي "تراب الذهب".

هل ستفهم جيسي ما فعله؟ إنها تعتقد أنها الوحيدة التي تمتلك
مفتاح الخزانة، وإن الذهب لايزال موجوداً بها، أو على الأقل هذا ما
كان يأمله، وأوسوا ما يخشاه هو أن تشک الشابة في أنه استغلها.

تشك فيه بعد ذلك على اعتباره السارق وتساءل: الم يتصرف من أجل
 الصالح العام؟
 عندما رفع نظره نحو العربية المصفحة تجمد في الحال في مكانه: رأى
 بعينيه خيال شخص مرسوماً على قماش شفاف للعربية المصفحة.
 كان خيال "جيسي" منعكساً على الضوء الخافت للمصباح الذي
 اشعلته لتوها . قبل أن يفهم ما يفعله كان "جاب" قد قفز بسرعة البرق
 داخل المصفحة مما أفرز "جيسي" التي أطلقت صرخة رعب ، وترجعت
 نحو الصندوق الذي يحوي الخزانة بعد أن أطاحت "ترموس" مملوءاً
 بالقهوة الملتهبة . صاحت متلعمة:
 -"جاب" ! ما الذي تفعله ؟
 - اعتذرني يا "جيسي" .. لم أكن أريد أن أخيفك واعتقد أنتي فقدت
 صوابي للحظات .
 - فقدت صوابك ؟
 - نعم .. لقد شاهدت ظلاً و ...
 اتسعت عيناهَا غير مصدقة .. لقد رأها إذن وهي تستبدل ملابسها .
 قالت في ندم:
 - أنا أسفه يا "جاب" لم يكن من الواجب أن أفعل ذلك خاصة وأنني
 لست وحدي في المكان .
 - ما الذي حدث يا "جيسي" حتى نصبح دائمًا على خلاف ؟ حذريني
 لقد كنا دائمًا قادرين على التفاهم حتى في أكثر المواقف غموضاً .
 - لست أدرى يا "جاب" ماذا حدث ؟ ولا أعرف لماذا أنت هنا؟ ولماذا
 يرسلون إلي رسائل تهديد؟ ولا أعرف ماذا ت يريد مني؟ كل ما أعرفه أنتي

عندما عادت إلى العربية المصفحة حيث قررت أن تنام هناك قبل المطر .
 ووضعت الطعام على الأريكة الخشبية الصغيرة في الجزء الأمامي من
 العربية . ثم صعدت إلى داخل العربية بعد أن وضعت نصيبيها الضئيل من
 الطعام فوق الصندوق الذي يحوي الخزانة ، وأشعلت شمعة لتجعل
 الجو أكثر دفئاً أخيراً استبدلت بملابسها آخر تي شيرت جافا عندها .
 وجفت شعرها فترة طويلة .

غرقت في أفكارها الحزينة : إن الرحلة أوشكت على النهاية وسيرحل
 "جابriel" إنها لم تحاول ولو مرة واحدة لإعادة صداقتها الماضية .
 تسأله ماذا لم يخبرها منذ عشر سنوات أنه ينتمي على هروبه منها ؟
 الآن فات الأوان .

ومع ذلك هي تحبه وتعرف أنه يحبها هي أيضاً ، ولكن كليهما يعلم
 من زمن كيف يخفيانه . في رأي "جيسي" تعتقد أن "جاب" لا يزال يعاني
 من تأثير أسرته وسلطتها . ذلك العم "باك" مثلاً لم يفخر أبداً بما فعله
 ابن أخيه ، بل إنه حاول أن يستغله . وتساءلت "جيسي" عما أحس به
 العم عندما فشل "جاب" في الحصول على توقيعها بالتنازل عن أرضها ؟
 كانت تعتقد أن "جاب" أنهى كل علاقته مع العائلة إلى أن تحدثت
 "راشيل" زوجة ابن عمها ولكن ربما كانت مخطئة ، وأنه قطع علاقته بها
 هي فقط .. في الغد سيرحل ثانية وعليها أن تستأنف حياة الوحدة .
 بعد أن تأكد "جاب" من أن الحيوانات أطعمت وأصبحت في مأمن من
 المطر حاول الاتصال بواسطة جهاز اللاسلكي بالوسيل الذي سيسلمه
 الذهب ، كما أخبر بين أنه سيكشف لـ "جيسي" حقيقة مهمته في مكتب
 التحقيقات المركزي، ولربما لو عرفت في أي جانب هو من القانون قلن

- لا بالتأكيد ، لم افكر في ذلك أبداً : لم يكن لدي من اتحدث معه وشاركه عواطفني ، ولم يكن بالتأكيد من الممكن ان افعل ذلك بالصبية الذين كانوا يحيطون بي ، ولا يمكن ان ابوج لهم بمشاعري .

إن علاقتي بك كانت مختلفة عما هي عليه بين امثالنا من المراهقين لقد كنا نتحدث عن الدراسة والأهداف والمستقبل وعن أحلامنا ..

لقد سجلا حتى اسميهما في دراسة التمثيل الحر في المدينة. إنها تذكر مدى جنونهما ، ولكن ذلك يبدو الآن بعيداً جداً إذا كانت قد عادت إلى "هلونيجا" ، فإن ذلك كان بهدف واحد هو أن تظهر للجميع ولـ "جاب" ان عائلة "جيمس" محترمة بالتأكيد كان بإمكانها أن تستقر في مكان آخر ، ولكن ذلك كان سينزع منها كل ما هو محبب إلى قلبها.

وانحرياً لم يعد "جاب" وكل ما كانت تريده "جيسي" ان تتبته ، لم يعد له داع ، وعليه صنعت لنفسها شيئاً فشيئاً حياة وجوداً حزيناً وكثيراً وبلا تاريخ ، بعيداً عن صديق طفولتها .

كانت ذكرياتها كلها تعود بطريقة مؤلمة - شيئاً فشيئاً - وسط عتمة العربية ، كان قلبها يدق بشدة .

احست ببعض من الأمل لأن "جاب" بجوارها وهو ما كانت تنتظره ولكن لا .. إنه لم يعد من أجلها لقد عاد ليتم مهمته . سمعته يهمس عندما سمعها تقول لنفسها دون أن تحس بصوت مسموع : لا.. لا تعدد الأمر ثانية يا "جاب" ، وفرزت عندما سمعته يهمس بدوره :

- أنت تعرفي جيداً يا "جيسي" تماماً أن ذلك مستحيل .

مستحيل أن أبتعد عنك أكثر من ذلك: لأنني اشتقت لك بلا حدود وفوق طاقتى ، لقد احسست باني ولدت من جديد لحظة لقائنا بعد كل

لم أعد أتحمل أكثر من ذلك!

- هل تلقيت رسائل تهديد؟ أين هي ؟

- نعم لقد كانت رسالة واحدة ودمتها .

- اعرف يا "جيسي" . إنني لم أحاول أن افهمك، وأعدك أن افعل ذلك من الآن فصاعداً ، ولكن يجب عليك أولاً أن تلتقي في رفعت الشابة "ترموس" القهوة ، ووضعته بجوارها ، ثم قالت وعيتها مبللةان بالدموع:

- لقد فات الاوان يا "جاب": لقد عدت لتحمي الذهب ، ولكن لا داعي لأن تنفع نفسك ، إنه في آمان، وانا لست في حاجة لك: ارحل .

قالت بصوت مختلف:

- هل تريدين أن تلتقي بي في الخارج في هذا الجو ؟

تجهمت أسارير "جيسي" : كان المطر قد تضاعف هطوله وهو يصطدم بسقف العربية المصفحة بضجة تشبه المدفع الرشاش . ومع ذلك كان داخل العربية- الجو مريحاً ودافئاً . قالت معرفة:

- لا .. لا استطيع أن افعل ذلك.. لقد أحضرت لك عشاءك ، وهذه هي القهوة الساخنة في "الترموس" .

- الان تسمحي لي بتغيير هذه الملابس المبتلة ؟

- بالتأكيد بشرط ان تطفئ النار!

لم يستطع "جابريل" أن يكتم ضحكته ، وتذكر كل وقائع علاقتهم معاً التي كانت في الحقيقة بعيدة عن الطيش ، خاصة في أيام المراهقة وإنما كانت على أساس من الصداقة القوية سالته :

- إذن هل تعتقد أن علاقتنا لم تقم على أي نوع من التجاوز يا "جاب" ؟

ذلك الغياب . لقد مضى وقت طويلا ، وأنا مشغول بالعمل فقط .

إن القدر كان قاسيا عندما افترقنا عن بعضنا بعضا كل ذلك الوقت ..

إنني أريد أن أنسى عذابي يا چيسى

كان جاب على حق لأن الغد سيُضيّع خاتمة قاسية للحب الذي بدا أنه عاد ليستقر من جديد بينهما : إنه سيتركها وكل شيء سينتهي وسيعود الحزن . ومع ذلك ها هو موجود بجوارها لمدة ساعات .

وتنمنى چيسى أن تتمتع بكل لحظة منها قالت له :

- إنني أستطيع أن أحبك في أي لحظة حتى ولو كان ذلك لساعات قليلة يا جاب وانت تعرف ذلك .

كانت تعرف وتحس رغم الظلام الذي يلفهما أنه هو أيضا يحبها ..
نعم إنه لايزال يحبها .

وهكذا فقدت الشابة كل سيطرتها التي حاولت أن تبقيها على أعصابها أمام جاب ، ووجدت نفسها تغرق في أحاسيس لذيرة تدور بها كالإعصار الذي يعصف بكل مقاومتها التي بنتها عبر عشر سنوات من الانفصال . وقبلها اكتشفها أنه لا يحبها عندما ارتبط بـ لورا ، وعندما عاد إليها بعد أن هجرته لورا بهدف واحد أن يستغلها لإرضاء شهوة عمه إلى الحصول على شريط الأرض الذي نملك والذي يبقى من أملاك أسرتها .

وفجأة تدخلت عاطفة الحب وانتصرت على اليأس : ليعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي . لقد عاد جاب أخيرا إلى بيته ووطنه حيث مكانه .

بدت الجبال والبحيرات والأنهار حولهما تشترك معهما في سعادتهما التي انفجرت مرة واحدة .. ولكن .
ل ساعات قليلة فقط .

الفصل السابع

بعد دقائق طويلة وبعد أن استعاد كل منهما رباطة جأشه اندس كل منهما في جوال النوم الخاص به . وتغطيا ببطانية ثقيلة ، وظلا صامتين ، وعيونهما مفتوحة وسط العتمة . همس جاب في رقة :

- لماذا انخدع كل منا في الآخر يا چيسى ؟

- أعتقد أن ذلك بسبب الجبل فهو كان معلقني وسجنه في أن واحد وكانت اختفي فيه وانت كنت تخفي داخله .
- ولكن لماذا ؟

- إنني أجهل ذلك يا جاب ولكن ما أهمية ذلك ؟
غدا كل شيء سينتهي . وهذه آخر ليلة لنا معا
الم تكن علاقتنا دائمة هكذا ؟ بعد كل مرة تعود فيها لبعضنا لفترق

من جديد .
ولا بالمستقبل : إن الحاضر فقط هو الذي يفهمها و كانهما يتقبلان هذا اللقاء كوداع جديد .

عندما استيقظ جابريل كانت بوادر أشعة الشمس تخترق عنان السماء التي لازال ملبدة بالغيوم .

لم يكن يريد إزعاج السيدة حين شورت ليسقرد الحقيقة التي بها الذهب . كانوا قد تأخروا ست ساعات كاملة عن موعد اتصاله باللائلكي .

ارتدى ملابسه في هدوء وخرج من العربة سعيداً عندما اكتشف أن المطر كف عن الهطول . قالت له حين :

- أنا سعيدة لأنك نمت في العربية المصفحة لأنه يلزمك بعض الوقت .
لم يجب جابريل ، ورغم سروره أمام رد فعل المرأة العجوز لم يحس بأنه فخور بنفسه : إنها ستعتبره غشاشا .. لقد اتهمته جيسي بأنه يطارحها الحب والغرام في كل مرة يحتاج فيها إلى شيء منها و يريد استغلالها بطريقة ما وهما يبعد الكراية مرة ثانية .

ولكنه تسأله : ألم يرسل في مهمة رسمية لحماية الذهب ؟ ثمليس بهذه الطريقة يستطيع أن يحتفظ بعواطف جيسي ويحميها ، ومهمها يكن الذي سيقابلها في نهاية الطريق فإنه أصبح يجهل إن كان سيستطيع إتمام عمله وإرضاء قلبه في نفس الوقت .

بعد أن حصل على حقيقة الذهب عبر الحديقة في اتجاه المقر القديم الذي سيلتقي فيه مع ضابط الاتصال ، وعندما رأى بين جونسون يبرز من الفضل ويعطى :

- لقد قلق جوبي من تأخيرك وارسلني لمقابلتك وبدأت اتساءل إن

يفترقان ؟ لم تكن هذه على الإطلاق رغبة جابريل ، وقد انكشف هذا الأمر أمام ذهنه ، وكأنه تلقى سكينة في قلبه . هناك أمور كثيرة حاليا في حياته يريد أن يشارك فيها جيسي . إنه يجب أن يقدمها إلى صديقه جافن وستانسي ماجادان وأن يريها أتلانتا التي لا تعرفها . ويصحبها إلى الحفلات الموسيقية والمطاعم والملاعب والأسواق .. قال : - وإذا لم يكن هذا هو آخر لقاء لنا جيسي .

تصوري لو أتيت ل تستقر في أتلانتا يمكنك أن تستمر هناك في تاليف الأغاني وغنائها ، بل يمكنك أن تفتحي فيها ملهي .
قالت ترد عليه بنفس منطقه :

- وإذا عدت أنت ل تستقر في دهلونيجا ؟ نستطيع .. تستطيع أنت أن تبني فيها بيتك على ضفة البحيرة ، واستطع أن احتفظ بعلهاي ويمكنك حتى أن ترشح نفسك وتنتخب عمدة لو أردت أن تستمر في العمل السياسي .

- أن يصبح أحد أفراد عائلة سان كلير عمدة ؟ إنك تمزحين يا جيسي !

فكرا جيسي لازال تعتبره مجرماً وخارجها على القانون ؟ قرر وهو خائف لدرجة الموت أن يعترف :

- يجب أن تعرفي يا جيسي أنه بالنسبة لماضي فقد قررت أن أخبرك بالحقيقة عنه .

- لا .. ليس الآن يا جاب : أنا لا أريد إفساد ليتنا .
التهما طعام الشيلي اللاذع واحتسبا القهوة دون أن يهتما بالماضي

كنت ستحضر أم لا؟

- أنا لم أنتظرك هنا يا بين.

- عندما علمت أنك على وشك أن تكتشف رأيت من الأفضل أن أقابلك بنفسني . ما الذي يجري ؟

- لست أدرى ، ولست أعرف حتى إن كانت هناك مشكلة أصلا . ولكن لدى هاجس فقط.

- لهذا السبب أخذت تلك الحقيبة معك ؟ لقد كنت أعتقد أنك عثرت للذهب على مخبأ حتى الغد أقصد حتى هذا الصباح

- هذا صحيح ، ولكنني أعتقد أنه يجب علينا فتحها في الحال مجرد التأكد أن الذهب موجود في أمان.

- رائع .. افتحها!

- هل لديك كشاف بطارية ؟

أجاب بين وهو يوجه دائرة الضوء على الحقيبة التيل:
- ها هو !

أخرج جاب النسخة الثانية من المفتاح التي يحتفظ بها في جيبه ثم دسه في القفل وفتح الصندوق ببطء.

قفز فرعا أمام الانفجار الذي حدث في وجهه وذهل وهو يجد الخزانة فارغة . كانت الحقيبة التيل التي تحوي الخزانة مملوئة بثقل ليعطي تأثير ثقل الذهب ولم يكن هناك أي سبيكة من الذهب . منذ متى اختفى الذهب ؟ والبارود الأحمر الذي اكتشفه يثبت إدانته بطريقة لا تقبل الشك: لقد لعبت به جيسي . ساله بين :

- ماذا ستفعل الأن ؟

لم يكن أمام جاب أي خيار . أجاب في رعب

- سنضطر بعدها على عصابة جيسي !

ذهب جاب إلى الحديقة يتبعه رئيسه وعبرها وهو يجري دون أن يأبه لأقرع الأشجار المبللة التي كانت تصفع وجهه المصبوغ باللون الأحمر عندما وقف أمام العربية التي لازال فيها جيسي . بدا وكأنه قابل وحشا في الغابة . سالته في ذهول :

- جاب ؟ لماذا حدث لك ؟

- لقد استبدلت العلبة يا جيسي .. لا يوجد ذهب أين هو ؟
اصطلنعت جيسي مظهراً عدم التصديق ثم فرعت تماماً

- هل سرقت الحقيقة ؟ هل فتحت الخزانة ؟

- نعم : الشيء الوحيد الذي وجدته هو قنبلة ملونة . وحقيقة مملوئة
بالصخور

جلست الشابة فوق المرتبة وصاحت في تجهم

- هل سرقت ذهبي ؟ إذن أنت اللص ؟

- اللعنة يا جيسي ! أنا عميل في مكتب التحقيقات المركزي ولست
لصاً ولكن هناك بالتأكيد شخص هو اللص .
صرخ لوني ونجن معاً وهما يقبلان مقطوعي الانفاس إلى العربية
المصفحة .

- لا يا جيسي ! إنه لم يسرق شيئاً بل نحن الذين أخدمناه . بعد هنا
مرعوبين أن يحدث مكروه للذهب . إن جاب لم يفعل شيئاً
نطلقت جيسي في بطيء وهي تنظر في احتقار إلى اللعاب الذي نزل
بسيل من فكيه

- أنا أصدقك يا صديقي

قال مؤكداً :

- أنا بريء.

- أنا كنت أحبك .. لقد أحببتك دائمًا.

- أنا يا جيسي ..

- أخرج من هنا يا جاب أريد أن أرتدي ملابسي.

أصحاب بين الحرج فاطما الكشاف البطاريه وخرج من العربية ، واخذ يتأمل الزوجين العجوزين اللذين كانوا ينتظران بالخارج . سالهما :

- من أنتما ؟

شرحتْ جين شورتْ :

- نحن جين ولوبي شورتْ وأختيليس صديقة للمحافظ

- أه نعم ! أخت ليس ولكن لماذا فعلتما هذه الحكاية ؟

أجابـت المرأة العجوز وهي تشعر بالمهانة.

- حسناً أنا أبحث من فترة عن وسيلة لجمع جيسي وجاب كل شيء بما عندـما فكرت ليس أن جابريل سان كلير يجب أن يحمي ذهب جيسي .

سمع جاب وهو داخل العربية المصفحة بعض عبارات من حديث جين شورتْ ، أراد بدوره أن يشرح لجيسي ما حدث ولكنه فهم من نظراتها الباردة أن الاوامر فاتت لم يعد عنده ما يقوله لها قالت صارخة في غضب :

- أنت لن تتغير أبداً يا جاب حتى بالنسبة لعطلة نهاية أسبوع عاجز عن العثور على جذورك . كان لابد أن أشك في ذلك

- أين الذهب يا جيسي ؟

- في مامن .. اطمئن وسيصبح في الكابيتول غداً ، بالضبط كما أراد جدي لست في حاجة لك ولا لأحد.. لقد تعودت دائمًا على الاعتماد على نفسي ، فتحت الصندوق أمامه وخرجت الذهب المزيف وفتحت ضلقة من النوافذ المصححة للعربة واقت بالحقيقة في الخارج .. تم لم تهتم بوجود جاب وارتدى ملابسها: ثوبًا طويلاً أحمر بكرانيش دانتيلا.

- أنت لم تعد تشكل جزءاً من حياتي يا جابريل سان كلير ولست في حاجة بعد الآن لخدماتك .. إنني لا أريد من يسهر علي بهذه الطريقة.

نادي بين من الخارج على جاب :

- تعال يا جاب ؟ عندي شيء أريد أن أريه لك انضم إليه جاب في الحال وسأله :

- ماذا هناك ؟

فتح بين تحت أنظاره الحقيقة التي أعطاها له لوبي وجين شورت وترك عدداً من البلي الملون ينساب فيها إلى الأرض وهي تندحر صاح :

- بلي !

- نعم يا جاب أين إذن الذهب ؟

اعلنتْ جين :

- اعتقد أن جيسي رحلت لتحضره.

تسلق جاب في قفزة واحدة إلى داخل العربية المصفحة فوجدها خالية وصاحت :

- اللعنة لقد رحلت

سال بين وقد زدادت عصبيته :

- أين هي ؟ لابد أنها أعدت ضربتها بمهارة

قال جاب

- من يدري ؟ كل ما أستطيع أن أقوله لك : إنها ترتدي ثوباً أحمر
بجالون من الدانتيل.

قالت جين مفترحة

- لنفترق ونبحث عنها

قال جاب أمراً

- لوني ! اذهب وأحضر المأمور وأخبره بما يجري وفتح العربة
للمرة الأخيرة ، ثم فتح مرة ثانية الصندوق . اكتشف في قاعه ورقة
صغريرة تقول : إنه ليس كما يدعى "لاتلقي فيه"

إنها الرسالة التي سبق أن تلقتها جيني

شعر جاب بالحيرة ثم دسها في جيبه ليりيها لـ بين : إن تلك الكلمات
تذكرة بشيء ما .

خلال نصف الساعة التالي كانوا قد قلبوا المخيم راساً على عقب ، ولم
يعثروا لها على أثر : لقد اختفت جيني والذهب

امتد التفتيش حتى الحديقة كلها دون جدوى

وأخيراً قررت جين أنه مهما كان الذي حدث فإنها ستقدّم بنفسها
القافلة حتى مبني الكابيتول . مادام ذلك أعزّ امنيات الشابة
جيني اتجهت بصحبة جاب وبين نحو المكان الذي ربطوا فيه
الحيوانات طوال الليل ، وكم كانت المفاجأة التي انتظرتهم عندما

وجدوا هوارس قد اختفى بيوره . همسـت وهي مبهوتة تماماً :

- إنها جيني ولكن لماذا فعلت ذلك ؟

قال لوني الذي فهم فجأة

- إنها الوحيدة القادرـة على امتنـاء تلك البـغـلة

اضـافـ جـابـ :

- وقد تقدمـنا بـسـاعـةـ كـامـلـةـ .. هـيـاـ بـنـاـ يـاـ بـينـ

قالـتـ جـينـ :

- سـنـتـبعـكـ بـالـقاـفـلـةـ يـاـ جـابـ إـلـىـ اللـقاءـ فـيـ "ـكـابـيـتـولـ"

ومـعـ ذـلـكـ رـفـضـتـ سـيـارـةـ الشـرـطـةـ أـنـ تـتـحـركـ وـلـاـ سـيـارـةـ وـاحـدةـ تـحـركـ

لـقـدـ عـطـلـتـهـاـ جـينـ جـمـيـعاـ

كـمـاـ أـنـ سـيـارـةـ بـينـ الجـيبـ تـاـوـهـتـ أـرـبـعـ مـرـاتـ قـبـلـ أـنـ تـصـمـتـ لـلـابـدـ

كـلـ ذـلـكـ وـجـينـ تـجـريـ

ذـهـبـ بـينـ وـجـابـ إـلـىـ الـحـارـسـ الـمعـينـ فـيـ مـدـخـلـ الـحـدـيـقـةـ يـسـالـانـ

- هلـ رـأـيـتـ اـمـرـأـ تـخـرـجـ مـنـ هـنـاـ عـلـىـ ظـلـهـ بـغـلـةـ ؟

أـجـابـ الرـجـلـ :

- فـعـلاـ مـنـ حـوـالـيـ سـاعـةـ لـقـدـ رـأـيـتـ مـاـ يـشـبـهـ الـجـنـيـةـ فـوـقـ الـجـوـادـ وـكـانـهـ

تـقـومـ بـحـمـلـةـ مـنـ الـفـرـسـانـ

سـالـهـ بـينـ فـيـ نـفـادـ صـبـرـ

- وـأـيـنـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـونـ قـدـ ذـهـبـتـ

أـجـابـ جـابـ :

- لـسـتـ أـبـرـيـ .. يـجـبـ إـصـدارـ إـعـلـانـ عـنـ الـبـحـثـ لـابـدـ أـنـ أـحـدـ رـاهـاـ

قالـ بـينـ يـذـكـرـهـ :

- لا اعتقاد ان البنك مفتوح
- إذن راقبهم .. هذا أمر .. نحن نطارد 'جيسي' جيمس.
- ضغط على زر الميكروفون يغلقه والنتف لـ'جاب':
- هل توافق؟
- لست أدرى .. أنا عميل خاص لمكتب التحقيقات المركزي وأنا غير قادر على حماية عربة تحوي حقيبة صغيرة من الذهب.
- تادي عليه محدثه باللاسلكي:
- بين ! لقد رأوا امراة على ظهر فرس على الجانب الآخر من تلال دوريد . لقد عبرت حديقة امراة عجوز مسكونة واتلفت زرعها في طريقها
- اوشك 'جاب' ان ينفجر ضاحكا لولا قلقه على 'جيسي': انضم إليهم وهم يعبرون المدينة سيارة شرطة ، تجاوزهم السائق وأشار إلى انه سيفتح لهم الطريق ، أدار 'بين' جهاز اللاسلكي ثانية واعلن:
- أنا الكاتن بين جونسون نداء إلى كل الوحدات التي تقوم بمطاردة امراة فوق الفرس لاستخداموا الانوار الورامضة ولا السارينات ولا تقبضوا على احد ، واستمروا بتحذيرنا وإخبارنا عندما تشاهدونها واتبعوها عن بعد
- اعلن أحد رجال الشرطة في اللاسلكي:
- لقد دارت وبخلت شارع بيتشترى وبيدو أنها تتجه إلى وسط المدينة.
- قال 'بين':
- هل تعتقد يا'جاب' أنها تتجه إلى 'الكابيتول'؟

- إنه السبب ونحن في 'أتلانتا' ومن المحتمل جدا الا نجد احدا هناك رأى شيئاً.
- ساعثر عليها وثق في ذلك: إن امرأة ترتدي ملابس من قرن مضى وتركب فرسا لا يمكن الا يلاحظها احد.
- عندما عثرا: لهما على سيارة اخيرا جلس 'جاب' خلف مقعد القيادة واتجه نحو المدينة.
- لم يصدق ابدا ان 'جيسي' يمكن أن تكون لصه.
- لقد خال مقتنعا مثل 'جين' ان نقل الذهب إلى 'الكابيتول' هو اهم شيء في حياتها: ولهذا لجأت إلى اي وسيلة لتحقيق ذلك . ساله 'بين' فجأة: - هل فتشت محتويات الحقيبة قبل وضعها في الصندوق؟
- لقد شاهدنا ونحن في البنك 'جيسي' وهي تفتح الخزانة البنكية وتخرج منها حقيبة الذهب ، ثم ناولتها للمامور الذي وقع تصريح نقله وضعه أمام الجميع في الخزانة الموجودة من قبل في العربية ولم تغب عن عيني احد من ساعتها.
- ذكره 'بين' قائلاً :
- إنها خزانة 'جيسي' . هي التي كان معها المفاتيح
- لا .. إن 'جيسي' لن تجرؤ على ...
- شخص على الأقل قام بذلك على أية حال.
- أدار 'بين' بيد عصبية جهاز اللاسلكي وأمسك بالميكروفون واعلن:
- حاول يا'جو' ان تلحق بيتك 'دهلوتينجا' لمعرفة ما إذا كانت 'جيسي' ذهبت لتفتح الخزانة الخاصة بها قبل ان تذهب معها لسحب الذهب؟
- اجابة الرجل الآخر :

ولماذا تمر بشارع بيتستري في هذه الحالة
لست أفهم .

أبطلت سيارة الشرطة التي تقود العملية الإشارات الوامضة الحمراء
وأبطاط من سرعتها بحيث سمحت لـ **بابن** و **جاب** بتجاوزها .
في هذه اللحظة لمحها **جاب** إنها **جيسي** بثوبها الأحمر
والوشاح المصنوع من الدانتيلا الذي أخذ يتظاير حول عنقها وهي
تقود الفرس العجوز هوراس عبر شارع بيتستري .
أمام الانتظار المذهولة لبعض ممارسي رياضة الجري الصباحية كما
ذهل بعض راكبي السيارات القليلة المارة .

والذين كانوا يفسحون لها الطريق لتمر في حين بعض المشاة قفزوا
فزعًا للتجنب أن تدهسهم وهم يرونها قارمة نحوهم .
يبدو أن الحظ كان معها أو ربما كان القر في صفعها عندما وصلت
إلى إشارة مرور حمراء تغيرت الإشارة إلى اللون الأخضر بمعجزة مما
مكنتها من الاستمرار في طريقها المجنون . وفي منتصف المدينة انحرفت
لليمين فجأة مما اضطر **جاب** للدخول في منطقة ممنوع السير فيها ،
وقبيل بضميج رهيب من كلاكسات السيارات ، وهو يشق طريقاً وسط
السيارات التي برزت في مواجهته .

ظل يردد أين هي ذاهبة بحق السماء وقد اختلفت وراء شاحنة ضخمة
واخرج **بابن** رأسه من النافذة حيث لمحها في اللحظة المناسبة وقال :
لدي إحساس أنها ستتخلى عن فرسها

عندما لمحها **جاب** بدوره توجه هوراس نحو محطة أتوبيس
الطريق السريعة صاح :
لا .. يا إلهي .. إنها ستقلب سيارة !

الفصل الثامن

همست **جيسي** في آذن **هوراس** وهي تلكره بقوه .
- استدر نحو الشمال .. هنا اذهب أيها الطيب !
لم يفتح الفرس تكرار الأمر وانطلق عدوا في الاتجاه المعاكس
بينما في نفس الوقت اندست **جيسي** وسط زحام محطة الأتوبيس .
وصل **جاب** بدوره إلى المحطة وركن سيارته وهي تصدر صريراً غالباً
من إطاراتها فوق الأرض . ثم اندفع نحو القاعة ، ومن ناحية أخرى صرخ
بابن هابرا وأمرا رجال الشرطة الذين جروا وراءه إلا تخبيب عن
انتظارهم
أخذ قلب **جيسي** يدق بشدة وأنفاسها لاهثة وهي تعبر القاعة في
خطوات شبه هاربة نحو مكتب صغير في نهاية بهو الانتظار وأعلنت

لوظف الشباك

- إنني جئت لاتسلم طردا أتيا لي من دهلونيغا.

أصابت الحيرة والدهشة الرجل من مظهرها الغريب وشعرها الذي بدا وكأنها خرجت لتوها من معركة نسائية تبادلت فيها المشاجرات هواية شد الشعر عند النساء ، وأخذ يتأملها في استغراب . قال :

- ما اسمك من فضلك؟

- جيسى جيمس .

رد الرجل متهمكا:

- وأنا فرانكلين روزفلت !

قالت جيسى في إصرار :

- إنه اسمي حقا يا سيد ، إن طردا أريد أن أسلمه باسم جيسى جيمس .

بدا الذهول التام وعدم التصديق على وجه الرجل وهو يستدير صاف الدواليب وراءه ، وبحث عن الاسم .

كان جاب الذي راقبها من المدخل قد تسلل خلسة إلى بهو الانتظار ووقف عند أول صاف من المقاعد . وسمعها تقول للموظف :

- لا .. ليس عندي بطاقة تحقيق الهوية ولم أحضر حقيبة يدي .. وليس عندي سيارة كذلك وباختصار لقد حضرت إلى هنا على صهوة جواد رد عليها الرجل بلهجة احتقار :

- واضح تماما يا سيدتي !

صاحت جيسى وهي تحس بالجنون يتكلها

- لابد أن تصدقني : أنا اسمي جيسى جيمس ، وأنا مسلحة وإذا لم

تعطني طردي في الحال فإنك ستكتشف في الحال ما أنا قادرة عليه .

رفعت طرف چيبتها ولفته على ذراعها بطريقة تجعل رجل الشباك يفهم ماذا تخفي تحت القماش الأحمر سالها بصوت هادئ :

- هل هذا سطو مسلح ؟

- إذا أردت أن تفهمه كذلك ، والآن أعطني الطرد .

تدخل جاب وهو يقف بجوارها :

- ليس بهذه الطريقة يا جيسى .. إنك تغامررين بإصابة أحد هنا .

بعد أن القى الموظف نظرة مبهمة على جابريل وضع الطرد على مائدة التسلیم وابتعد دون كلمة ولم يفتح جاب أي فرصة لـ جيسى أن تفعل شيئا ، وإنما التقط الطرد وسالها :

- ماذا يوجد في هذا الطرد ؟

- الذهب ياسيد مكتب التحقيقات المركزي .. الذهب الذي استخرجه جدي بنفسه من منجمه حتى يوضع على قبة الكابيتول .

قال وهو يسحب الشابة نحو باب الخروج حيث كان في انتظارهما بين وضباط الشرطة .

- سنقوم بالتحري حول ذلك باسرع ما يمكن .

- أعد لي هذا الذهب يا جاب إنه ملكي .. ملكي أسرتي .

- ليس قبل التحقق من محتوى الخزانة لو سمحت .

هيا نرحل يا بين في اتجاه الكابيتول .

هذه المرة لم تقاوم جيسى وتركتهم يصحبونها بالسيارة إلى المبنى الضخم الذي كانت قبته تلمع ببريق الذهب تحت أشعة الشمس في أتلانتا .

- عندما تعثرين على هذه الورقة يا چيسي ستفهمين ان الذهب غير موجود . أنا اسف لم يكن هناك اي ذهب في ذلك المتنج . ولم ارد ان اخبر احدا عن ذلك لانني اعلم ان هناك عرق ذهب يجري تحت النهر عبر كل اراضينا ، وإنني ساعثر على الذهب في يوم ما ، ولكنني لم انجع واردت ايضاً ان تعرفي ان لعبة البوكر كانت خدعة .

صاحت چيسي وهي تقطع قراعتها :

- كنت اعرفه .. لقد عرفته دائمًا . لقد كان بوب هو احسن لاعب في چورچيا وأن إيفان لم يكن سوى محتال !

استمرت في القراءة وهي محطمة :

- لقد غشست حتى اخسر في البوكر وكانت هذه طريقتى الخاصة لرعاية مارتا .. كان هذا كل ما استطيع ان افعله من اجلها .

سالها بين :

- مارتا من هي مارتا ؟

اجابه جاب في همس :

- إنها جدتي .

استمرت چيسي في القراءة

- لقد وقعنا في الحب عندما كان إيفان في الحرب وكانت مارتا تنوى الطلاق منه عند عودته ولكن سجن هناك وعندما عاد كان في حالة يرثى لها جعلتها تقرر ان تخال بجواره . ولكنه كان غير قادر على إعالتها بينما هؤلاء الملائكة من آل سان كلير كانوا على استعداد لأن يتركوه يموت جوعاً . لقد بذلت كل ما في طاقتى لمساعدته لقد ظلنت ان ذلك المتنج قد ينقذه من المشكلة التي يواجهها ، ولكنني ايضاً

ادخل جاب الشابة وبين إلى مكتبه الخاص ثم أحضر مفكاً . وقام بين بفتح الخزانة بعد ان حطم القفل ورفع ببطء غطاءها . ظهرت بعد ذلك حقيبة من التيل الرمادي . أمسك بها وهزها بخففة ، ثم القى بمحطوياتها فوق المكتب قطع من الاحجار وبعض الاحجار الملونة المقلدة رفع جاب عينيه نحو چيسي وقال في غيظ :

- أين الذهب يا چيسي ؟

- هنا ، من المفترض ان يكون هنا : لا احد فتح هذه الحقيبة منذ وضعها في خزينة البنك واقسم على ذلك .

سالها بين :

- لم تفتحيها ابداً يا چيسي !

- إطلاقاً : لقد ذهبت لإحضارها من البنك ووضعتها في هذا الصندوق وأرسلتها إلى هنا .

قال جاب باحتقار :

- وهكذا أرسلت حقيبة صخور عن طريق البريد باتوبيسات جراري هوند ؟ برافو چيسي !

سالت دموع الغضب ببطء من عيني الشابة استعاد بين حقيبة القماش وهو حائز ودس يده بداخلها : ليخرج قطعة مكرمشة من الورق

وقال وهو يتناولها لـ چيسي :

- انظري هناك شيء ما في الحقيقة !

صاحت وهي تعرف في الحال على الخط :

- ماذا ؟ ... إنه خط جدي ونقول الرسالة

كنت أعلم إنك ستعودين بعد كل تلك السنوات .

أطلق **جاب** زفراة طويلة : كانت كل حياته حتى الوقت الذي ترك فيه الجبل وأسرته تعيش من عائدات المنجم الذي ليس ملك عائلته كانت **جيسي** أكثر اضطرابا منه : كانت تكره طول حياتها آل سان كلير . **جاب** ، لأنهم حصلوا على ذلك المنجم عن طريق الغش في لعبة البوكر ، والآن نعلم أن جدها هو الذي كان يغش لأنه كان يحب زوجة رجل آخر .
قال **لين** معلقا :

- إذن ليس هناك لص ومن الأفضل أن أتحدث مع المحافظ في ذلك .

قال **جاب** :

- لا ... انتظر .

كان يعلم أن **جيسي** كانت تعاني من أن ترى خدعة جدها تعرض أمام الجميع وقال **لين** :

- سلمه الحقيقة كما كان يتوقع دون أن تقول له شيئا : لو أن أسرتي لم تشتراك في كل ذلك لكان الذهب موجودا في تلك الحقيبة إنني ساقوم بوضع الذهب بنفسي .
صاحت **جيسي** معترضة :

- لا .. لا يمكن ساقدم اعتذاري علينا واوفر الذهب بنفسي .

سالها **جاب** وهو يعلم أنها بلا أي موارد :

- ومن أين ستحصلين عليه ؟

- سابع الملهي .

- لا يمكن أن تفعلي ذلك يا **جيسي** إن ذلك الملهي مهم جدا بالنسبة لك . لابد من إيجاد وسيلة أخرى . ثم حسب معلوماتي فإن بيع الملهي

لن يكفي .

- إذن ساببع شريط الأرض في الجبل .

- لن أدعك تفعلين ذلك أنا .. يبقى لي هذا الشريط الذي يعد مدخلًا لاراضينا يا **جيسي** وهذا تستطيعين الاحتفاظ بما تملكينه .

نظرت إليه نظرة مرعوبة :

- ها نحن وصلنا .. إنك تبذل كل ما في وسعك لتحقيق غايتك أدرك **جاب** بالضبط بما تحسه : في كل مرة يعود فيها ، وتعترف فيها بحبها له تجده يرحل ويحمل معه حبها ، ومع ذلك لم تعتقد أبدا أنه يفعل ذلك لأنه يحبها .

- صدقني ما تعتقدينه .

أجابت بصوت باهت :

- ليس أمامي أي خيار .. ساعد المستندات ماذا ستفعل بالنسبة للاحتفال ياسيد چونسون؟ بعد نصف ساعة كان **جاب** قد بدل ملابسه وحلق ذقنه ، وقص شعره ، ثم قاد العربية المصفحة حتى مبني الكابيتول كانت **جيسي** جالسة بجواره وقد غطت شعرها المشط بكاب من الدانتيلا وكوت جيبتها الطويلة وقدمت أمام أعين الجمهور الذي تجمع أمام المبنى الرسمي لمحافظ چورچيا صندوقا لا يحتوي على الذهب .

بعد ذلك ورغم اعترافات **جيسي** الشديدة استطاع أن يقنعها أن تقبل العشاء الذي يقيمها المحافظ في نفس المساء وآخرًا اقتنعت كانت تشعر بالإعياء الشديد من أحداث الصباح فجلست بجوار **جاب** في السيارة التي نقلتها إلى بيت أليس ماجadan . اخت **جيسي**

الحضور إلى بيت جافن ماجادان ابنليس التي بدات تقصص عليه
مقالات اختها چين التي وقعت في حب ميكانيكي وتزوجها ، ولم
يدهش أحد عندما رحلت إلى چورچيا مع لونى حيث اشتهرت هناك
فندقا صغيرا ، وكانت چين تذهب أينما ثقت بها الربيع وتفعل ما يطرا
على بالها وهكذا أمام رغبتها في أن ترى چيسى سعيدة ، اخترعت
حكاية الرسائل التي تعلن عن الهجوم المحتمل على قافلة الذهب ،
ويمساعدة ليس التي كانت ضمن مجموعة المقربين من المحافظ
وأاستطاعت أن تحصل على موافقة المحافظ على إسناد مهمة حماية
الذهب إلى حاب وچيسى

بينما السيارة تتجه نحو بيت ماجadan خللت چيسى صامتة: الم
نكتشف في غضون ساعات كم هي چين مغامرة وكم كان جدها غشاشا
خسر عن عدم منجم الذهب في البوكر؟

والأسوا أنها تعرف الآن أن "جايريل سان كلير" كان مكلفاً بحماية الذهب ومراقبتها؛ لأنها كان من المفروض أنهم يشكون في أنها تريد سرقة الذهب! لقد صار حبها لحبه وهو يعتبرها لصنة!

ولكن الم تصارحه هي ايضا بحبها له وهي تشك فيه؟
والى يوم وبعد كل هذه السنوات وجد الوسيلة ليتنزع منها تلك
الشريحة من الأرض الجبلية التي كانت متمسكة بها جدا . وكما خطط
الآن كلير ؟

وَجَدَتْ 'جِيسي' نفْسَهَا وَسْطَ فُوضُى عَارِمةٍ كَانَتْ 'جِيَنْ' فِي انتِظارِهِمَا فِي بَيْتِ 'الِيسْ'، وَهَبَّتْ 'جِيسي' بِيَطْهَ شَدِيدٌ مِنَ السَّيَارَةِ لِتَقْابِلِ المَرْأَةِ الْعَحْوزَ، وَتَرَكَتْ حَابَ بِمَفْرِدهِ

في الحقيقة تبادلت المراتان العديد من التفسيرات ولم تدهش "جيسي" بعد أن أخبرها "بين جونسون" فيما بعد أن كاتبة الرسائل هي "جين شورت" أخذها جانبها بعد الاحتفال الرسمي وأخرج من جيبيه أمام عيني "جيسي المبهورة" الرسالة التي تلقتها قبل رحيلها "إنه ليس كما يدعى .. أحذريه سالتة في حيرة:

- أين وجدت هذه الرسالة؟

- في العربية المصفحة . وأعتقد أنها كانت موجهة لك .

- نعم لقد دسها بعضهم من تحت عقب الباب .

- وأراهن أننا لو حللنا صوت المتكلم المجهول في التليفون لوجدنا أنه صوت امرأة.

قالت حنسة

- حین -

كان هذا الاكتشاف كفيلة بإثارة دهشتها ولكن الغريب أنها لم تفعل
منذ ظهور "لوني ونجين" في بلدة "دهلونيجا" فإن "جين" نجحت ليس
في إعادة تشغيل وإنجاح الملهم فحسب وإنما أيضاً الفندق المواجه له ،
وهي أيضاً التي حملت المنتج الغني للحضور لسماع أغنية "جيسي"
الأخيرة وأغاني الفرقة ، ونظمت أيضاً الحفل الراقص الغربي المسمى
"ليالي أغاني الريف الشعبية" والذي تلقى كل عميل للملهمي تذكرة
حضور الحفل مجاناً

قال ابن:

- نعم إنها حِنْ.

الآن أصبح كل شيء واضحًا تمامًا **حال**: عندما كان طفلاً كان يعيش

وقفتْ چيسيَّ أمام مراة حجرتها وهي تصف نفسها بأنها أكثر النساء بلاهة وحمةً : لماذا قبلتِ إذن هذه الدعوة لبيت المحافظ؟ وما الذي ستفعله هناك مع جاب سان كلير؟

كانت ترتدي مجموعة من الأزياء استطاعتْ چينَ أن تلقطها من أحد محلات التي تتبع الملابس المستعملة : بلوزة ذهبية فوق جيب بكسرات قصير للغاية من نفس القماش ، وحذاء بنفس اللون . ومشطت شعرها الطويل الناعم الأسود على شكل ضفيرة ذيل الحصان ، وعلقت في أذنيها قرطاً ذهبياً ضخماً مما ترتديه الغجريات . اخذتْ چيسيَّ تتأمل شكلها بلا حماس في المرأة عندما سمعت طرقاً على الباب فسألتْ :

- نعم؟

كان ذلك جاب الذي حضر لاصطحابها .
- يا إلهي يا چيسيَّ . أنت مذهلة !
- بل لدى إحساس بأنني بلهاء مسكنة سيفونها في كل المدينة يا جاب أرجوك دعني أرحل أريد العودة إلى دهلوينجا .
- هذا مستحيل يا چيسيَّ : إن المحافظ ينتظرك في إصرار . لقد سعد من قبولك حضور عشاءه . وأنا واثق أنه سيطلب منك الغناء بعد ذلك وأعتقد أن ذلك سيكون رائعًا .

عندما رأها مضطربة غير الموضوع قائلاً .
- أتدرين أن كلينا خدع في عائلته . ولكن الأمر في الحقيقة لا أهمية له ، إن ما يهم هو أننا معاً اليوم أنا وانت .
- ماذا تكون نحن يا جاب؟

استمعتْ چيسيَّ بـأذن شاردة - چينَ وهي تشرح . كل شيء أصبح سيان عندها الآن قالتْ چينَ :

- أحياها يقع الرجل في الحب لأمرأة لا تكون من نصيبه وإذا كان يحبها لا تكون لديه سوى رغبة واحدة وهي حمايتها . تماماً مثلما حمى الستون مارتا فإن جاب يحاول حمايتها كرت چيسيَّ اسم جاب في كراهية
- جاب؟ الذي انتزع مني أرضي بالقوة . كان صوتها يهتز من الشعور بالمهانة . قالتْ چينَ :
- إذن خبريني لماذا يتحدث العجوز باك سان كلير عن البيع هو أيضاً ؟
- من قال هذا؟
- لقد سمعتوني ذلك عند الحلاق ، لم يعد هناك أي شخص يريد العقاء في الجبل ، وأنت أيضاً تعرفين أن والتر يبحث عن مشتري للمزرعة .
- نعم كانتْ چيسيَّ تعرف ذلك .. لقد حدث كل شيء بسرعة شديدة وهي لا تعرف الآن أين هي من كل تلك الأحداث المتلاحقة . كانت فكرة واحدة تطاردها وتتسلط عليها : أن تعود إلى دهلوينجا .
- وفي نهاية مابعد الظهر تمددت في إحدى حجرات دار اليس الخالية وقد اتخذت قراراً أنها ستتبع لـ جاب ليس الأرض المدخل إلى أراضي الـ سان كلير فحسب ، وإنما أيضاً كل الأراضي التي بطول النهر ، وبهذا لن تكون هناك أي مشكلة مطروحة . عدا مشكلة ماذا حدث لـ هوراس؟

والتي تستخدم كتحويلة للحيوانات كانت ايضا مغلقة. ثم لم يحضر اي شخص ليفتح الباب.

عندما واصلا طرق الباب ، ومع ذلك احس هوراس بوجودهما فاقترب في الخلام واعلن بقوه عن عدم رضاه عن سجنها . قالت له برقه : - صه! يا هوراس إننا سنخرجك من هنا قال لها جاب :

- مستحيل يا چيسي وسنعود لأخذك في صباح الغد وندفع الغرامة القانونية .

- ولكنه لا يستطيع البقاء هنا دقيقة بعد الآن : ألا ترى كم هو تعيس؟ - إنه في أمان هنا واعدك أن نحضر لأخذك في الغد في أول ساعة من النهار . المهم أنك تعرفي أين هو الآن ..ليس كذلك؟ اعترفت رغمها :

- نعم .. لاشك انك على حق .

نقلهما السائق إلى بيت اليس ماجadan . وصحابها جاب حتى الباب ثم غادرها

عاد بعد ذلك إلى بيت المحافظ حيث استعاد السيارة التي أقرضتها شرطة أتلانتا له .

كان الوقت يقترب من منتصف الليل عندما أوصل لوني چيسي شورت إلى بيت اليس .

بعد أن قاوم جاب بشدة رغبته الجنونة للصعود للانضمام إلى چيسي عاد إلى بيته الذي يسكنه على الجانب الآخر من المدينة .

- انظري إلى المرأة يا چيسي . إنه نحن . لست في حاجة إلى العودة إلى دهلونيغا . ويمكنك أن تبكي وتعيشي هنا .. معي إنني سأحميك . إن چيسي تريد فقط أن تعرف من هي حقاً :

كانت دار المحافظ نمونجا رائعا لفخامة المباني الجورجية . وكانت مضاءة وبراقة كقطعة من الحلي الثمينة وسط شاشة زرقاء من السماء . قدمت چيسي إلى زوجة المحافظ رجينا وإلى العديد من الشخصيات البارزة في أتلانتا . والجميع استقبلوها في حرارة مما جعلها تنسى بعض حزنها .

بعد عشاء بسيط جدا ولذيد للغاية قبلت أن تغنى بعض الألحان من تاليفها : استعارت جيتارا . ووقفت بمفردها تحت كشافات الإضاءة ، المبهرة التي تخسي المنصة الصغيرة التي أقيمت من أجل هذا الغرض ، بينما وقف جاب متواريا في الفلل ولم تفاره عيناه أبداً .

ما إن انتهت غناؤها حتى انطلق تصفيق حار وسارع جاب لمناداتها بإشارة من يده في لهفة وقال لها عندما انضمت إليه :

- إن الموضوع بشاز هوراس . لقد قبضت عليه الشرطة حالاً ووضعته في مكان الحجز المخصص للحيوانات الشاردة .

- يا إلهي ! وكيف عرفت ذلك؟ - لقد أخبرني بين بذلك .

اختفي خلسة وأشار جاب إلى سائق السيارة الليمورين التي استأجرها لنقلهما إلى بيت المحافظ حيث اندس الإثنان داخل السيارة الفخمة والضخمة وانطلقا في اتجاه ملجا الحيوانات . عندما وصلا إلى المكان وجدوا المبنى مغلقا والمنطقة المسورة حوله

وساجري لا يبدل ملابسي . بعد دقائق كانوا قد انطلقوا إلى وسط المدينة لإطلاق سراح هوراس لم تستطع چيسي أن تمنع نفسها من مقارنة جاب الحالى مع ذلك الذي عرفته أيام مراهقتها .

أيامها كان على استعداد لاقتحام ملجا الحيوانات اللعين ، ولم يكن لينتظر للبيوم التالي لإطلاق سراح هوراس ، إذا ما اضطر لذلك . ولكنه لم يعد البيوم نفس الشخص : إنه الآن عميل لمكتب التحقيقات المركزي رجل جاد وكتوم يعرف كيف يصدر الأوامر وان يجعل الناس تطيعه .

ولديه أمران لا تستطيع أن تعرف موقعها منها .
أولاً هي قادرة على حب هذه الناحية المحفوظة عند جاب ، وهي صفة أفقدت الشاب الكثير من حب المغامرة والتطرف .
إن جاب الذي جاء ليعمل ملاكا حارسا لها النساء الرحلة ليس جاب المتوحش والمغامر الذي كان رفيقها في اللعب أيام الصبا .
لقد تغير وصنع لنفسه وجودا عacula .

أما هي فالحياة بالنسبة لها تحد مستمر و دائم ولا تنال فيه الأمور بسهولة ، وعليها أن تصارع كل يوم حتى ملهاها يمثل بالنسبة لها تحديا : كان من الممكن أن تفتح أي مطعم أو محل مضمون العائد ، ولكن هذا العمل يبدو لها هادئا . لقد ورثت طباع جدها الباحث عن الذهب ولكن شيئا واحدا لم يتغير وكان على چيسي أن تعرف به الا وهو العلاقة السحرية الموجودة بينها وبين جاب ، وهي علاقة مثل التفاعل الكيميائي الذي يجذب عنصرا نحو الآخر دون مقاومة وهو ما يسبب لها الرعب . في العادة هي التي كانت تبحث عن وجوده ، وانها في

جلست چيسي على أعلى درجة من السلم وقد ارتدت بلوزة من الجرسية بدون أكمام وبنطلون چينز وهي تنتظر في عصبية عودة چين ولوبي من عشائهما عند المحافظ ، قالت للمرأة العجوز عندما دخلت الورده :

- بسرعة يا چين ، غيري ملابسك : لابد من تحرير هوراس قال لها لوبي :

- لقد أخبرني جاب بما حدث ووعد بالاهتمام بالأمر صباح غد - لا .. يجبذهاب إلى هناك في الحال : لا يمكن ان اتركه يقضي الليلة في جحر الفئران ذلك .

- إنها على حق يا لوبي هي اذهب واحضرني سيارةليس

الفصل التاسع

أحدا لم يسمح له بذلك أبدا .
استأنف لوبي الحديث في ريبة:
- نعم .. نعم .. لقد حكوا لي عن الحياة البسيطة التي كان يعيشها والدك . إنه لم يكن يستقر في مكان واحد وكان يتصرف بعدم مسؤولية إطلاقا .

صاحت چين وهي تلکزه بکوعها :
- لوبي أنت لا تعرف ماذا حدث لذلك الرجل عندما فقد المرأة التي أحبها ، فقد كل شيء .

- ربما لكن بقيت له طفلة ، وكان عليه أن يتحمل مسؤولياته بطريقة أفضل ويرتب أموره لتكون أسرة جديرة باسمه وهذا ما يمكن أن يفعله جاب .

فكرت چيسى رغمما عنها في نفس الشيء .
نعم كان جاب سيفعل نفس الشيء ، ولكن ماذا عنها هي ؟ هل تستطيع أن تتقبل أن يكون هناك من هو مسؤول عنها ؟ لقد كانت تقول لنفسها دائمًا ، إذا كان جدها بوب لم يتمت و لم يقتل والدها ، ولو عاشت أنها ..

لقد اختفى الجميع ولكن چيسى اقسمت أن تبقى ، وأن تعيش ، ل تستعيد الأموال التي كانت ملكها من قبل . إن ذلك سيكون كما لو أنها تجمع قطع اللغز . لغز حياتها ، ومع ذلك إنها اليوم على وشك ان تفقد اراضي تعزها كثيرا ، ربما كان لا يزال أمامها الفرصة ، وربما كان جاب على صواب منذ البداية ؟ سالت چين فجاة لتخبر نفسها على التفكير في شيء آخر

حاجة إليها ، ولكن المؤكد اليوم أنه هو الذي يحتاج إليها . تساءلت :
كيف يمكن للأملاك وخارج على القانون أن يشتراكا في تطلعات وأعمال مشتركة . إنها تجهل التفسير ، ولكن الحقيقة الواضحة هي أن كلا منهما لا يمكن أن يستغلي عن الآخر .
ومن ناحية أخرى كيف سيتوصلان إلى التغلب على الاختلافات التي ستستمر في مواجهتها ؟

لم تعد چيسى تعرف كيف تفكر . ثم هل من الضروري أن تفكر في كل ذلك أم على العكس أن تتجاهل ما يحدث وتترك القدر يفعل ما يشاء ؟
- ماذا هناك يا صغيرتي ؟

- لست أدرى يا چين إنني أتساءل : لماذا أشغل بالي في أمور يسخر منها كل الناس .

- لأنك تدعين چيسى چيسى وانك تفهمين العذاب والحزن ، وانت تعرفين أن تهاجمي عذابك وأساسك مواجهة والسيطرة عليهم ، ثم نسيانهما وتستمرى في الحياة بشجاعة . إنها صفة رائعة التي تملكتها يا صغيرتي .

- ولكن هذه المرة يبدو أن العذاب يلتصق بي ويرفض أن يتركني .
قال لوبي مصححا لكلامها :

- لا .. فقط تظنين أنك مجبرة على لعب دور الخارجى على القانون كما علمه لك جدك . ووالدك لم يعلمك أبدا أن الناس العاديين يستطيعون أن يكون لهم وجودهم أيضا .

- إن والدى يا لوبي لم يكن عنده أي إحساس عملى : لقد كان شخصا حالما يعتبر العالم قاسيا لقد أراد أن يعيش حياة عادلة ولكن

- جين ! انت إذن التي تحدثت تليفونيا برسائل التهديد .. اليس كذلك؟

أجابها لوني بدلا من زوجته :

- بالتأكيد هي . لقد كان في ذهنها ان تقوم بالدعایة لعید هجمة الذهب .

ترددت جيسي في طرح السؤال الذي يعندها منذ البداية وإن كانت تخشى الرد كثيرا:

- و.. هل بسببك عاد جاب؟

- إيه .. حسنا .

- أريد الحقيقة يا جين .

- في الحقيقة نعم ولا : لم اكن اعرف جاب شخصيا ولكنني كنت على معرفة بالصداقة التي كانت تجمعكمما أيام الطفولة . لقد قص على جافن ذلك .

- وكيف عرف جافن بذلك؟

- لقد كان صديقا لـ جاب قبل ان يتزوج ، لقد قام جاب بزيارتة من حين لاخر .

وقد تحدث مع اليس بكل انفعال وحب نحو ونحو الجبل . ومن ناحيتي انا عندما اقمنا انا ولوني في البلدة احسست مدى وحدتنا قال لوني مكملا ومعلقا على حديث زوجته:

- والمتآمرتان اللتان هما اليس وـ جين تصورتا وسيلة لإعادة جاب . وعندما قررت ان تنقلني الذهب إلى اتلانتا ، انتهزت اليس الفرصة . وأنت تعلمين انهم باتصالاتهما هنا وهناك من المستحيل على جاب

ان يهرب منها .

قالت جين بصوت تملأه الثقة :

- ولكنني كنت اعلم ان الامر سينتهي بوصوله لقد قرات ذلك في اوراق البخت .

اطلق لوني رفرفة طويلة فقالت جين :

- فعلا .. لقد اوشك الامر ان ينجح .

كان على جيسي ان تعرف في نفسها ان ذلك صحيح ، ومع ذلك فهي تعتبر اليوم خارجة على القانون إذا ما واجهت القضاء . ومع ذلك ربما يبقى أمامهم فرصة . الميرغب جاب في السهر عليها كما فعل جدها على امه .

وصلت السيارة اخيرا إلى ملجا الحيوانات وقبل ان تطفئ الانوار اضاءت كشافات السيارة المكان لحظات: لاح جسد العجوز هوراس وهو متتحقق بالسور . وهو تعس لانه محبوس هكذا اعلنت جين وهي تهبط من السيارة .

- هيا بنا يا جيسي !

اتجهتا معا وهما مسلحتان بقطاعات حديد نحو التحويطة اللعينة وعندما لمحته جيسي صاحت:

- جاب ! ماذا تفعل هنا؟

- عند عودتي إلى البيت قلت في نفسي : إنك قادرة على ان تفعلي اي شيء مجنون من أجل العجوز هوراس . ولذلك درت نصف دورة وجلست إلى هنا كنت واثقا من انتي سأجذك هنا . وهانت تريني انتي لم اكن مخطدا

صاحت دون ان تحاول ان تخفي عن سعادتها

- اوه يا جاب إذن انت اتيت لتساعدني ؟

- لا . لقد اتيت لامنعك من ارتكاب حماقة يا جيسي وانت يا لونى
عد بـ چين للبيت وسأهتم بـ چيسى .

تجاهلت الشابة كلامه وتقدمت نحو الباب ، ثم دست المقص الحدادي
لنقص حول الكالون .

أمرها جاب صائحا :

- چيسى ! لاتفعلي هذا !

- إنك لن تمنعني يا جاب لقد اتيت لتحرير هوراس وسأصحبه إلى
بيت چين . ساعدى على الأقل وتذكر فرقتنا للإنقاذ عندما كنت انت
في الرابعة عشرة من عمرك وكنا نلوي القانون . لم يجد جابريل
الشجاعة لأن يخبرها انه الان يمثل القانون ، ولكن بدا له فجأة انه من
الممتع ان يساندھا كما كانا يفعلان من قبل: ولذلك نسي كل حرصه
وأنمسك بمقص المعادن الذي تركته چين ، وبدأ في قص ما حول
الكالون . بعد لحظات انتهيا من عملهما واندست چيسى داخل
التحويطة عندما انطلقت سارينة الشرطة صاح جاب :

- لقد انكشفنا يا چيسى : ل الخرج من هنا بسرعة .

لم تستمع چيسى إلا إلى رغبتها في تحرير هوراس ، فقفزت فوق
ظهره وانطلقت نحو فتحة الخروج . ولكن كردودنا من سيارات الشرطة
كان بالفعل قد أحاط بالمكان تومض منها الكشافات الزرقاء وتنبع اي
مجال للخروج .

لم يحاول جاب حتى ان يهرب ، وإنما اكتفى بالسير وذراعاه في

الهواء نحو رجال الشرطة الواقعين بجوار سياراتهم
احست چيسى بجفاف في حلتها ، وانزلقت ببساطة من فوق ظهر
الغرس إلى الأرض ، ثم اعادت الجواد إلى التحويطة . وهي تهمس له .
- أسفه ايها العجوز .. لقد بذلت ما في استطاعتي وعليك الانتظار
حتى الغد لتخرج من هنا .

سالها قائد الشرطة :

- اين تظفين نفسك يا سيدتي ؟

- داخل هذا السجن الذي يحبسون فيه الحيوانات يا سيدى ، لقد
حضرت لاحرره وقد اوشكت على النجاح لو امهلتني خمس دقائق ، من
اخبرك؟

قال لها جاب وهو مستعد لاسوا الاحتمالات :

- دعى الأمر يا چيسى .

تخيل مقدما عناوين صحف الصباح: عميل بمكتب التحقيقات
المركزي يلقى القبض عليه لمحاولته سرقة فرس يالها من فضيحة
ساله رجل اخر :

- ما اسمك يا سيدى؟

- جابريل سان كلير .

- لقد شاهدتكم اليوم في نشرة الاخبار ، اليوم على ما اظن لا ياس
لقد كنت ضمن قافلة الذهب .
- بالضبط

استدار الشرطي نحو چيسى :

- وانت يا سيدتي ؟ ما اسمك ؟

أخذت تردد سؤاله وهي شاردة وقالت

- اسمي ؟ أنت تقپض الأن على چيسي چيمس . بعد أن وضعوا الكلبشتات في يديها أجلسوها على الإريكة الخلفية لسيارة الشرطة ، كانت چيسي طوال الرحلة لا يبدو عليها الاكتئاث ، وقد رسمت على شفتيها ابتسامة عريضة ومشرقـة .

أما بالنسبة لـ چاب فإنه لم يتوصـل إلى تفسير كيف استطاع أن يرتكب مثل هذه الغلطة وانتهى بها الأمر بـان سـائلـها :

- كيف يمكن أن تظـهـري بهذه السـعادـة ؟ إن عـطلـة هـذا الأـسـبـوـعـ كانت كـارـثـةـ ...

- بالعـكـسـ لقد عـلـمـتـنيـ الكـثـيرـ . عـنـدـمـاـ التقـدـيـناـ مـرـةـ ثـانـيـةـ ، فـهـمـتـ أـنـاـ لـازـلـنـاـ كـمـاـ كـنـاـ مـنـ قـبـلـ وـأـنـهـ لـايـوجـدـ شـيـءـ يـمـكـنـ أـنـ يـعـنـعـنـاـ .

- هذا بالضبط ما يـقـلـقـنـيـ ياـ چـيـسيـ .

فعـلاـ كانـ چـابـ قـلـقاـ عـنـدـمـاـ أـدـرـكـ مـدـىـ السـهـولـةـ التـيـ قـادـتـهـ بـهاـ چـيـسيـ وـسـيـطـرـتـ عـلـيـهـ خـلـالـ عـشـرـ سـنـوـاتـ بـذـلـ المـسـتـحـيلـ لـيـقاـومـ الإـغـراءـ الـذـيـ تـمـلـهـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ : لـقـدـ تـجـنـبـ العـودـةـ إـلـىـ الجـبـالـ . لـأنـهـ كـانـ يـعـلـمـ مـدـىـ سـلـطـةـ صـدـيقـتـهـ الـقـدـيمـةـ عـلـيـهـ ، وـالـيـوـمـ عـطلـةـ اـسـبـوـعـ وـاحـدـ كـانـتـ كـافـيـةـ لـإـلـغـاءـ كـلـ تـصـمـيمـهـ الشـدـيدـ .

ولـكـنـ .. اللـعـنةـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ : فـهـوـ مـنـذـ أـنـ عـادـ لـلـقـائـهـ أـحـسـ بـأـنـ يـوـلدـ مـنـ جـدـيدـ ، وـأـنـهـ أـكـثـرـ حـيـوـيـةـ .

- چـابـ .. أـنـاـ سـاقـوـلـ لـهـ : إـنـتـيـ فـقـطـ التـيـ قـرـرـتـ تـحـرـيـرـ شـورـزـ وـسـاخـبـرـهـ أـنـكـ مـاـ جـنـتـ إـلـىـ المـكـانـ إـلـاـ لـتـمـنـعـنـيـ .

- لـمـ جـالـ لـلـمـنـاقـشـةـ فـيـ ذـلـكـ يـاـ چـيـسيـ . ثـمـ إـنـتـيـ لـمـ أـمـنـعـ

- أـنـتـ أـكـثـرـ النـاسـ عـنـدـاـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ يـاـ چـابـ ؟
- وـتـقـولـينـ إـنـتـيـ عـنـدـيـ ؟ رـيـماـ . وـلـكـنـيـ وـاقـعـيـ أـيـضاـ .
إـنـكـ تـجـدـيـنـ نـفـسـكـ مـثـلـ سـمـكـ خـارـجـ المـاءـ هـنـاـ ، وـمـنـ نـاحـيـتـيـ لـأـعـتـقـدـ
إـنـتـيـ أـسـتـطـعـ العـودـةـ لـلـحـيـاـ فـيـ الجـبـالـ . وـالـآنـ بـعـدـ كـلـ مـاـ حـدـثـ فـإـنـتـيـ
سـاسـتـعـيـدـ عـمـلـيـ دـوـنـ شـكـ وـسـاجـدـ نـفـسـيـ فـيـ النـهـاـيـةـ مـعـاقـبـاـ بـنـفـيـ
لـلـعـلـمـ فـيـ نـقـطـةـ الـبـدـاـيـةـ الـأـوـاـهـيـ دـهـلـونـيـجاـ .

بـعـدـ أـنـ قـفـزـتـ فـرـحـاـ اـسـتـطـعـتـ بـصـعـوبـةـ أـنـ تـنـمـالـكـ نـفـسـهـ . نـزـلتـ
كـلـمـاتـ چـابـ تـلـكـ كـالـعـسـلـ عـلـىـ قـلـبـهـ .

فـيـ مـكـتبـ الـشـرـطـةـ اـمـرـوهـمـاـ بـالـجـلوـسـ فـيـ قـاعـةـ الـانتـظـارـ . وـأـنـ يـنـتـظـراـ
وـصـوـلـ بـيـنـ جـوـنـسـونـ بـعـدـ أـنـ تـمـ إـخـطـارـهـ .

لـمـ يـتـأـخـرـ الرـجـلـ فـيـ الـحـضـورـ وـمـاـ إـنـ وـجـدـ نـفـسـهـ فـيـ مـواجهـتـهـمـ حـتـىـ
أـمـسـكـ بـذـرـاعـ چـيـسيـ وـسـحـبـهـ إـلـىـ حـدـيـقـةـ قـسـمـ الـشـرـطـةـ دـوـنـ أـنـ يـأـمـرـ
چـابـ بـاتـبـاعـهـمـاـ .

سـائـلـهـاـ وـهـوـ يـقـوـدـهـاـ نـحـوـ سـيـارـةـ فـيـ الـانتـظـارـ:
- ماـ هيـ كـلـ تـلـكـ الـحـكاـيـةـ ؟

قـدـمـ لـهـ چـابـ مـوجـزاـ مـخـتـصـراـ مـاـ حـدـثـ فـيـ السـهـرـةـ وـهـوـ لـاـ يـحاـوـلـ
أـبـداـ الـاعـتـذـارـ عـنـ اـفـعـالـهـ . فـهـمـ مـنـ اـبـتـسـامـةـ التـيـ اـرـتـسـمـتـ عـلـىـ وـجـهـ
رـئـيـسـهـ أـنـهـ سـيـعـودـ لـوظـيفـتـهـ فـيـ الـلحـظـةـ الـمـنـاسـبـةـ التـيـ يـكـونـ فـيـهـاـ فـيـ
حـاجـةـ إـلـىـ نـقـودـ لـمـسـاعـدـةـ چـيـسيـ . وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ يـلـزـمـهـ دـوـنـ شـكـ أـنـ
بـيـعـ اـرـاضـيـهـ التـيـ خـلـلـتـ سـنـوـاتـ طـوـيـلـةـ طـوـيـلـةـ مـلـكـاـ لـسـانـ كـلـيـرـ .
قـالـ رـئـيـسـ چـابـ لـهـ :

- مـحاـوـلـةـ سـرـقةـ وـاقـتـحـامـ ، أـلمـ تـكـنـ هـنـاكـ طـرـيقـةـ مـبـاشـرـةـ أـكـثـرـ مـنـ تـلـكـ ؟

خلالها ستعذين مجانا في كل حفلات البر والإحسان التي قد تحتاج
لـ **لوهتك**.

- اوه .. ولكن انت .. يا حاب ؟ هل طربك دين ؟

- هذا يرجع إلى: إذا بقيت في الخدمة فمن المحتمل أن انفي إلى قرية صغيرة بعيدة عن هنا ، وهذا يعني أن علي ان اعيش مختبئا طوال مدة العقوبة

- ولكن أنت؟

ـ لم أعرف بعد . ولكن هل يمكنني أن أثق فيك يا چيسي ؟ وهل يمكنني أن أطالبك أن تظللي هادئة ما بقيت تحت حراستي ؟

قالت وهي تبتسم :

- تحت حراستك؟ هل معنى ذلك أن علي أن أقدم لك تقريرا على كل حركاتي وأفعالتي؟

أجابها حاب بلهجة خشنة:

- ۷۶ -

- ولماذا أخضم لذلك؟

- اللعنة يا جيسي ! متى تكفين عن محاربتي ؟

إن الأمر جاد ولا أستطيع أن أعدك بشيء ولا أدرى ما الذي سأفعله
كل ما أعرفه إنما أحب أن أظل بمحارتك.

بدأت نظراتها ترتجف وعيناها تضطربان ومع ذلك ليست الثورة
والغريب هما اللذين يلتهمانها. وإنما الحب الذي لا يقاوم والذي يدفع
كل واحد منها نحو الآخر . سالته :

- وماذا عن حملة يا حاب؟ اعتقاد اتنى ساذج حملة لو ترکته؟

لست ادرى إلى أين سيقودك هذا يا جاب
سالته چيسى وقد احس فجأة بالقلق
- هل سنتقوم بطرده ياسيد جو سون؟
- للأسف إن هذا ليس من سلطتي ياسيدتي
صاحب بين چيسى إلى بيت ماجadan
وهو يؤكّد بعناية على چين وليس الاتفادرا المكان تحت أي دعوى، وأضاف موجها الكلام لـ جاب

- أما بالنسبة لك فإنني سأهتم بقضيتك بعد أن أتحدث مع المحافظ .
إن السعادة التي وجدتها چيسى وهي بالقرب من جاب خلال الأيام القليلة الماضية بدأت تختفي ليحل محلها قلق متزايد: إن مستقبلاً أصبح مهدداً اليوم وكل ذلك بسببها ! إن جاب طيب و الكريم ولا يستحق أي شيء مما يحدث له إنها تحبه جداً لدرجة أنها لا تحب أن تراه يفقد كل ما حصل عليه بصعوبة، وهذه المرة لا تستطيع أن تفعل شيئاً لإصلاح أخطائها نحوه .

صباح اليوم التالي انتظرت في قاعة الإفطار عندما ظهر جابر فجأة، وفي نفس الوقت كانت جين ولينس قد اختفتا في الهواء خلسة.

سالته بصوت ضعيف :

- ماذا كان الحكم؟

- لقد استمع القاضي إلى حكايتنا ، وتابع نصائح المحافظ . ولم يوجّه أي اتهام ضد چيسى چيمس ولكن بشرط - ما هو ؟

- أن تظللي في الحال وبصفة عاجلة تحت حراستي لمدة سنة . سنة

- ليس هناك ما يدعوه لأن تركيه.

- ولكنك لن تكون سعيداً هناك وقد أفعل شيئاً قد يغضبك.

- إنك في هذه الحالة تستحقين أن يبغضن عليك.

- إنك لن تجرؤ!

- لو دفعتك خارج حدودي فلن أترى في حبسك.

- وماذا ستفعل أيضاً يا جاب؟ لو قاومتك.

- أنا... أنت لن تقაوميني يا عزيزتي.

صاحت وهي تلقي بنفسها عليه:

- أوه يا جاب كم أحبك.. ماذا سنصنع؟

- لنرحل من هنا يا انسنة خارجة عن القانون.

- هل أنت واثق من أنك تريدينني يا جاب؟

- نعم يا جيسي، أنا أكثر من مقاوم.

قبل وولتر عن طريق التليفون العرض الذي قدمته جين باسم
جيسي لإعادة شراء المزرعة. رحل جاب وجيسى معاً إلى
دهلونيجا وقد امتلأت الرحلة بالضحك واللحظات عميقية من
العواطف والمشاعر والذكريات المشتركة التي لم يكفا عن تبادل ذكرها،
وصلا إلى شاطئ البحيرة لانير والتي سبق أن عسّكراً عندها أثناء
رحلتهم إلى أتلانتا ثم أعلن جاب:

- لقد تركت شيئاً هنا. وأريد أن أتأكد أنه لا يزال في مكانه
لو سمحت.

- بالتأكيد يا جاب. ومع ذلك لا بد أن ناثان يتسائل عما فعلت: إن
الملهى في انتظاري و...

- إن ناثان لا يقلق أبداً فقد قمت بالواجب وهو لا ينتظرك قبل الغد

- غداً.

قاد جاب السيارة الجيب تحت مجموعة من الأشجار على ضفة
البحيرة ثم أبطل المحرك

هبط من السيارة، ثم ذهب ليأخذ من حقيبتها سلة فزهات خلوية،
وكذلك غطاء، ودون أن يقول كلمة ذهب ليستقر على حافة الماء.

جرت جيسي خلفه وامسكت به وهو يضع سلة الطعام من أجلهما
سألته:

- ماذا تقصد أن تقول يا جاب من أنتي لن أكون في دهلونيجا قبل
الغد؟

قال لها قبل أن ينهض بعد أن أعد الطعام:

- لقد فهمت كل شيء يا عزيزتي

كانت فعلاً تفهم أنه أن الأوان أن يقضيا معاً وقتاً بمفردهما بعيداً
عن الهموم والمشاكل بعد كل ما مرا به خلال أيام عطلة نهاية الأسبوع،
لقد ان لهمما أن يعرفاً الحب الحقيقي الذي كان كامناً طوال حياتهما ولم
يعد هناك ما يمكن من أن يعلناه

إلى چورچيا وهو ايضا ليس على استعداد ان يبعد بناء حياته مرة ثانية في دهلوينجا حتى وإن كان لايس - كما كان في الماضي - بحاجته الماسة للبعد عن جبل بومبكتفain . والفرق الوحيد من وضعه الحالى، والوضع الذى كان يعيشه عندما اضطر إلى ترك چيسى مرتين هو انه يعترف اليوم بملء فمه انه عاشق لهذه المرأة وهو الامر الذى يبعد اي حل لمشاكلهما. سالها اخيرا :

- ماذا تفعل الان يا چيسى؟

اجابته :

- كل ممای يستعيد حياته

فكرة جاب اي حياة: فإنه مادام لن يجد نفسه مكلفاً بمهمة جديدة : فإنه سيظل في جهل تام بوضعه في المستقبل . إن چيسى تعرف مكانها في الحياة ولكن جاب لايس باستمرار انه على استعداد لمشاركة هذا الوجود هنا .

لقد مر الوقت الذي كان يريح رأسه على ركبتيها ليبح لهما بمشاكله . اليوم لا يستطيع أن يسمح لنفسه بهذا السلوك . لابد أن يكون قويا : لأن أقل نظرة في أعماق عينيها الزرقاء كافية لأن تنطلق في البكاء والتشييع

وچيسى چيسى أصبحت قوية بحيث لا تردد ان تبكي أمام رجل مثل جابريل سان كلير . قالت واعده :

- إنني ساظل هادئة يا جاب ، ولن أحاول أبدا ان أضعك في وضع محرج ودقير .

- هل تعتقدين ان ذلك سيكون سهلا ؟

الفصل العاشر

قضيا الليل تحت ضوء القمر دون أن يفكرا في الصباح الذي أوشك على الظهور . ومع ذلك فإن الحقيقة في اليوم التالي سسيطرت على واقع حياتهما بأصابعها القوية . وبينما هما ينطلقان في الطريق نحو مقاطعة لومبکين لم يستطعوا الوصول إلى إجابة تحل مشاكلهما الناتجة عن علاقتهما . ثم اقتربا من دهلوينجا فزادت چيسى صمتا ، وعندما ظهرت أمامهما الجبال التي عاشا فيها اطلقت زفة انتعاش . كانت تلك الزفة هي ما ينتظرها جاب .

لقد بدا مستحيلا أمامه ان يترك چيسى في بيتها . ثم يعود ويرحل إلى "أتلانتا" ، ومن ناحية أخرى لو باح لها انه يحبها فلن يكفي كي يقنعها ان تقرر ترك البلاد : إنها لن تقبل ان تعدد حقائب سفرها وتتبعه

- لا... أعرف بالعكس إنه سيكون صعبا جدا ولكن لابد من الوصول إلى حل.

- وهل سبق لي أن طلبت منك أن تنتغيري؟ لا تفهمين أنك تمظلين كل ما هو ثمين في حياتي وجودي، وأنك أنت التي تساعديني في العثور على جذوري: لقد انتهى بي الأمر أن فهمت ذلك مؤخراً، واعترف بذلك وليس من حقي تجاهل هذا الدليل اليوم.

أدارتْ «جيسي» وجهها ببطء نحوه ولم تتردد هذه المرة في أن تغوص بعيونها في أعماق عينيه إذ كانت تمثل الطاقة والدافع التي هو في حاجة إليها ليعيش: فإن «جاب» يمثل بالنسبة لها الاستقرار والانزان اللذين تبحث عنهما، وهي أيضاً لا ترید منه أن يتغير، إنها تريده على ما هو عليه بجوارها لاطول وقت ممکن.

بدا فجأة وكأنه أمسك بطرف المشكلة وبعمقها ووجد الحل فاعلاً:

- ربما حان الوقت أن نكف عن التكلؤ عند الماضي وان نبدأ في دراسة ما يجب أن يحدث لنا الآن.

وافتقتْ «جيسي» على هذه الفكرة، ولكنها تسائلت: إن كان كل ذلك كان بالنسبة لـ«جاب» فقط: إنه يعرف أنه يغامر لو عاش بجوارها وبسببها القى به في السجن وتهددت وظيفته بطريقة خطيرة، فقلّت وهي تشتبّح بعيونها مرة ثانية نحو المظاهر الطبيعية.

- لاشك أن الحق معك يا «جاب».

اقربت الوقت من منتصف النهار عندما وقفوا أمام الملهى تراب الذهب، كانت أرصفة المدينة مزدحمة بالسياح وطلبة الكلية الغربية، وفي المواجهة كان عمال فندق «ناجت» قد أخرجوا بعض مواد في الشرفة الإمامية وقد سارع الزبائن إليها لتناول طعام الذهاب.

قال «جاب» معلقاً وهو يبتسم:

تساءل: تصل لماذا؟ وهل تعرف كيف تصل؟

أشاحتْ «جيسي» نظرتها الحزينة المشوهة بالأسى نحو النافذة. عن بعد بدأت تظهر أشبال زرقاء لتلال تعلوها سحب ضخمة رمادية، لقد كان هناك شيء حزين بلا نهاية ورومانسي في تلك المظاهر الطبيعية وكان تلك المظاهر تود أن تدحر الدموع هي أيضاً.

عندما كانت صغيرة قال لها والدها في يوم من الأيام: إن السحب هي أيضاً تبكي وأضاف: إن العالم كله - في الحقيقة - يبكي في داخله، وإن البعض يعرفون كيف يخفون دموعهم أكثر من غيرهم.

كلما اقتربا من «هلونيجا» زادت السماء ثقلًا بالسحب، وكانت الأحداث تشارك في حزنها.

قال «جاب» بصوت مختلف وبطيء:

- لا أعتقد يا «جيسي» أنني سأعرف كيف أرحل واتركك هنا، أنا لا أريد سوى وداع بيتنا.

رفرتْ

- أعلم وهذه ليست غلطتي إن لكل مما اخطأه واصبح الجبل هو العذر الذي نمسح فيه اخطاءنا.

- ولكن الحب يمكن أن يصلح كل شيء.

- لا أعتقد ذلك. انظر إلى ما حدث بين عائلتينا، نحن عملياً الوريثان الوحيدان لكل أخطائهم الماضية، وربما في أعماقنا نحس بالخوف من التغيير.

- إن الأمر أكثر من ذلك يا جاب . إن هذا الاتفاق الجديد معك يربطك
مرة ثانية بأسرتني حتى وإن كان ذلك مؤقتا ، وانا أقدر لك هذه
التضحيه تقديرًا بلا حدود .

- إنني لا أريد امتنانك يا چيسي وإنما أريد ...
تسائل: ماذا يريد في الحقيقة؟ إنه يريد چيسي . وليس لديه أدنى
فكرة لتحقيق تلك الرغبة . أشاح بوجهه بعد ان ضاق من عجزه وقال:
- لقد كانت چين مخطئة .
- يشأن ماذا ؟

- لا شيء يا چيسي ، أنا أهلوس فلا تهتمي !
- لست أدرى عم تتحدث يا جاب ، ولكن من الأفضل أن أهبط من
السيارة قبل أن يقبض عليك المأمور لتعطيلك حركة المرور لقد وقفت في
المكان الخطأ .

قال وهو يلقي نظرة في المرأة العاكسة:
- الحق معك .

هبطت الشابة من السيارة الجيب . ودارت حول مقدمتها لتلحق
بـ « جاب » الذي ظلل في مكانه .

- ساعد الأوراق اللازمة لنقل الملكية .. أين يمكنني أن أجده؟
- هنا في فندق ناجت ساظل فيه يوما أو اثنين ، ويجب أن أسوى
حسابي مع البنك .

تكلات چيسي بجوار السيارة ومحركها دائر .
أخيرا تدخلت الأمطار لإنهاء لقاءهما: سارع السياج إلى التجهيز
داخل الفندق بينما أخذت چيسي تتأمل « جاب » بنظرة باهضة وشعرها

- يبدو أن حملة الدعاية التي قامت بها چين نجحت
- كل هؤلاء الناس .. إنني لا أصدق عيني خاصة وعديد هجمة الذهب
لم يحن بعد!

علق في لهجة حزينة:
- خسارة أن مشروعاتنا الخاصة لم تنجح
- لانقل هذا يا جاب : لقد حضرت لمساعدتي وقد نجحت في ذلك ،
وبفضلك أستطيع تدبير الذهب الذي لم يكن جدي قادرًا على العثور
عليه .

وبالنسبة للموضوع الذي كذب فيه .. إن ذلك كان مهما بالنسبة لي
يا جاب .

- إنني أود لو استطعت أن أفعل أكثر من ذلك .
- أنا ممتنة جدا لكل ما فعلته ، وسارد لك المال وسأجد الطريقة
هذا وعد مني .

لماذا تشعر بكل هذا الانفعال؟ إنها متأكدة الآن كل التأكيد أنه مهما
يحدث ومهما يقل « جاب » فإنه سيرحل إن أجلًا أو عاجلا . في كل مرة
يلتقيان فيها ، فإن لقاءهما مهما كان سعيدا فهو مقدمة لرحيل جديد؛
فلماذا يختلف الوضع اليوم؟

- يا عزيزتي چيسي .. أنت لست مدينة لي بشيء إنني أشتري
لأسرتي شيئاً تمنى دائمًا الحصول عليه وتلتقيت في المقابل المال الذي
تحتاجينه ، وهكذا تحصل على مدخل لأراضينا: حتى يمكن بيعها؛
وبذلك ينزع آخر أفراد عائلة سان كلير من الجبل . وينتهي بذلك عهد
من الصراع .

الطوبل قد ابتل ، أدارت ظهرها وعبرت الشارع عدوا ودخلت الملهى
حيث كان ناثان يمسك لها الباب مفتوحا.

داخل قاعة الملهى كان مايك امام البيانو يداعب اصابعه ببعض
الالحان بحثا عما يناسب الاغنية .

قالت في نفسها يجب ان تضيف بيتا من الشعر يناسب الاغنية فقد
الحب اسوأ من فقد العقل لأن ذلك يتتجاوز العذاب الجسدي .
أرسلت الاذوات مباشرة إلى فندق جاب .

في اليوم التالي ، أحس جاب بوخز في قلبه يخنقه وهو يقرأ
المستندات واحدا تلو الآخر ، والتي تتعلق ببيع ارض "جيسي" لقد
أعدت الوراق بطريقة ممتازة ، كما أنها أظهرت عرفانها له فوضعت
حذا للصراع الطويل بين العائلتين منذ قرون ، كما المحظى إلى
استعادتها لأن تبيع له بقية الشريط الساحلي من أرضها - ولو قبل
عرضها - لما تبقى لها سنتيمتر واحد في الجبال وجد جاب نفسه
مربوطا بعضاً كان يريد أن ينساه : لأنه لن يستطيع أبداً أن يتخلّى عن
الشيء الذي تنازلت "جيسي" عنه له اليوم .
لابد أن هناك طريقة أخرى للتفاهم ، إن "جيسي" تستحق الأحسن .
نعم أحسن من ذلك .

ولكن جاب يعلم أن "جيسي" لن تقبل شيئاً غير أن تدفع دينونها له .
والله وحده يعلم أن تلك الأرضي لاتهم على الإطلاق كما أنه لا يسير
على طريق مفروش بالذهب ، كان عليه أن يستخدم ما تبقى لديه من
لعبة كرة القدم والتي ادخرها جانباً من أجل الوقت الذي كان يريد فيه
أن يغير حياته ويترك الجبل نهائياً . يالها من ورطة ! إن هذه الاموال

لن تصلح اليوم إلا لشراء شريحة من الأرض تربطه أكثر وللأبد بجبل
بامكتفain .

ولكن هل كان الجبل هو الذي يريد دائماً أن يهرب منه أم من
جيسي؟ إن هذا السؤال القاسي الذي كان يتسلط على ذهنه كان
يخنق قلبه ، لماذا كان يحاول دائماً الهروب من "جيسي" وهي التي
كانت تستجيب لعواطفه وهي التي كانت أساساً كل حياته وكان
مجنوناً عندما اعتقاده يستطيع الاستغناء عنها ، والآن وهذا الدليل
اصبح ظاهراً أمامه : فإنه يتساءل :

هل يستطيع أن يعيش إلى جانب "جيسي" دون أن يحطم نفسه .
غرق في الأسئلة التي غمرته وقرر الذهاب ليعيد السيارة إلى وكالة
تاجير السيارات ثم استعاد سيارته الجيب ، ثم رحل بعد ذلك إلى
الجبل .

لقد حان الوقت ليغتنش بنفسه على قطعة الأرض التي أعطته الحق
في المرور أخيراً ، وأضطر قرب نهاية الطريق المتعرج الوعر إلى ترك
سيارته والسير على قدميه : وجد نفسه وحيداً مع الطبيعة ورأى لأول
مرة مدى روعة وفخامة الجبل .

وكان كلما صعد لأعلى ازداد الهواء إنعاشاً ، وأحاط به الهدوء الذي
هذا من توته . لم يصعد جاب أبداً إلى هذا الارتفاع رغم وعود "بات"
أن تكون هذه الأرض ملكه في يوم من الأيام .

واليوم كلما تقدم في الصعود زاد انجذاباً بهذا المكان : كان يسوده
شعور بأن هناك شيئاً ما أغلى يلتقره ! دفعته الغريزة ليسارع في
خطواته عندئذ شاهد البيت الصغير ، وما إن رأه حتى فهم جاب ما

الذي يجذبه هنا بكل تلك القوة؟

كان وسط الأشجار شاليه محاط بالأعشاب والزهور البرية، وذهل جاب من اكتشافه، ودار ببطء حول الشاليه ليكتشف أن خلفه شرفة خشبية رائعة تشرف على بانوراما طبيعية رائعة كان من السهل عليه فتح الباب الذي لم يكن مغلقا بالقفل والرتاب، ما إن أصبح جاب بداخله حتى شعر بأن المكان ليس مهجورا إنما منسي

وكان يسوده جو خاص ومميز: جو دافئ وحبي وكان الشاليه ينتظر قدوم أحد.

فتح جاب النوافذ وسمع للهواء الطلق بان يخترق الحجرة الوحيدة التي تكون الدور الأرضي وكان في نهاية الحجرة مدفأة في انتظار من يشغلها وفي وسط الحجرة أريكة ومقعدان ذو مساند مغطاة بغطاء من التيل الأبيض لحمايتها، ورأى ثقبا في السقف سمح بتسرب مياه المطر لتسقط على ذراع أحد المقعدين وتفسده، كما رأى مقعدا هزاها يدعو للجلوس عليه.

إذن في هذا المكان كانت جدته تاتي للقاء حبيبها إنه مكان لا مكان فيه للأضفاف وإنما للحب النقى ولهذا السبب باعت جدته "مارتا" كل الأراضي التي حول الشاليه حتى لا يزعجها أحد، وأن يظل محراب الحب هذا سليمانا ومحصنا وخالدا.

صرر جاب أصابعه على سطح مكتب مغطى بالتراب حيث بقيت

بخمسة أوراق أكلها الزمن

ذهب ليستند على المدفأة ورأى بضع قطع من الخشب لازالت في أتون المدفأة: لذا قرر أن يشغلها

وفي الحال ارتفعت السنة النار عالية أمام عينيه المسحورتين ، رفع غطاء الأرضية وتمدد فوقها ، واخذ يفكر في "جيسي" ولقائهما وفراقهما

خطرت على باله فكرة .. فكرة معجزة.

كان الوقت متاخرا على الرجوع إلى سيارته الجيب.

إنه سيقضى الليلة هنا ، وغدا سيدرس عن قرب الفكرة التي اختمرت في ذهنه.

تم توثيق عقد البيع ، وعند عودة "جيسي" إلى الملهى في اليوم التالي وجدت منتج أغاني ، وصاحب دار أسطوانات في انتظارها، عندما فتحت أبواب الملهى: قال لها "كالين مارشال" بعد أن دعته للجلوس: - لقد سمعت موسيقاك يا أنسة ، أنت موهوبة قالت بدون حماس لم بصدقه المفتاح:

- شكرا

- ولذلك جئت أعرض عليك تسجيل أسطوانة، وقبل ذلك سبق أن اتصلت تليفونيا ، ولكن مساعدك كان عاجزا عن إعطائي اسم وكيلك الفني .

- ولكن ليس لي وكيل

- هذا ليس ضروريانا وانا متاكدة اننا نستطيع ان نتفق أولا سأجعلك تحضررين إلى "ناشفيل" ، وهناك تقرر الأغاني التي سسجّلها

- يمكننا ان نبدأ بعقد عشرة الاف دولار، وسنقدم لك أيضا الإقامة في الفندق طوال المدة التي ستبيتين فيها في ناشفيل ، والملابس ، والانتقالات من وإلى الاستوديو، وما يغطي مصروفاتك اليومية عشرة الاف دولار . خفضت چيسى عينيها على العقد الذي وقعه جاب معها، والذي كانت لاتزال ممسكة به، والذي يلزمها ببيع اراضيها لـ جاب . إنها بهذه النقود التي ستحصل عليها ستتمكن من شراء الذهب الذي وعد جدها به الحكومة في چورچيا ، ولو عرفت انه كان عليها الانتظار لاستطاعت ربح تلك الاموال بنفسها ، ولكن لو أن معنى ذلك ان تترك مقاطعة لامكين - لعدة اشهر - فإن ذلك لن يكون مأساة خاصة وأن ارضها في الجبل ستظل في حوزتها ، ولكن مارشال هذا وصل متأخرا جدا.

قال الرجل :

- يائسة چيسى انصحك بالتفكير جديا في العرض الذي أقدمه لك.. صدقيني إنه مثير .

- أنا متأكدة من ذلك ياسيدى ، ولكن هذا العرض الممتاز والمثير -للأسف- جاء في وقت غير مناسب .

تدخل مايك الذي سمع جزءاً لاباس به من الحديث .

- كيف هذا يا چيسى ؟ أنت ترفضين الذهب للتسجيل في ناشفيل ؟ وماذا عنـ ؟

قالت وهي تستدير نحو صديقها :

- أنا اسف يا مايك : إنني لاستطيع الذهب إلى ناشفيل . ولكنكم والفرقة تستطيعون أن تذهبوا إلى هناك ، خذوا الأفنيـة لو أردتم

والطريقة التي سنسوق بها أسطوانتك .

نظرت إليه چيسى وهي مدھوشة للغاية .

- ناشفيل ؟ أقصد أنه يجب علي أن أنهب لاستقرار في ناشفيل ؟

- بالتأكيد ليس بصفة مستمرة لايزال أمامنا شهر من العمل قبل أن نتمكن من التسجيل .

ويلزمك أثناء ذلك أن تغنى في ملاهي صغيرة استعدادا للجولات التي ستقومين بها بعد ذلك، ويلزمـنا أيضا العثور على الموسيقيـن الذين يصاحبونـك .

- ياسيد مارشال ليس لدى أي نية - قبل كل شيء - أن اترك دھلونيـجا مع ذلك فإذني أقبل أن أوقع عقدا معك، والزمـك فيه بالإبقاء على مليـه تراب الذهب وفرقة الدسـر ، وهم الموسيقيـون الذين لازموـني طوال حياتـي .

- إن لك خبرة أكثر منهم يا انسـة ، وأخشـي أنه يلزمك اشخاص أكثر خبرة لرفع قيمـتك . كان الرجل يتحدث بصوت هادئ وبثقةـ رجل تعود على قبول اقتراحاته . قالت له :

- في هذه الحالة لا أعتقد أنـنا نستطيع التفاهم معا ياسيد مارشـال ، وشكرا على عرضـك ، ولكنـي أجد نفـسي مضطـرـةـ لـرفضـ . ربماـ يـقبل فـريقـ الدـسـرـ أن يـبعـعـواـ لـكـ الأـغـنـيـةـ ، وـلـكـ مـاـ كـانـ ماـيـكـ هوـ الـذـيـ كـتبـ الـمـوـسـيـقـيـ فإـذـنـيـ اـتـرـكـ لـهـ حرـيـةـ الاـخـتـيـارـ .

استأنـفـ المـنـتجـ وقدـ بـهـتـ لـرـفـضـ عـرـضـهـ :

- لا أعتقدـ أـنـكـ فـهـمـتـنـيـ يـائـسـةـ هـنـاكـ أـمـوـالـ كـثـيرـ جـداـ فـيـ الـلـعـبـةـ .

- أـوهـ ! كـمـ ؟

للتعاقد مع موظفين إضافيين لمواجهة زيادة عدد الزبائن . وهذا لوني
وَجِينَ حذوها .

لم يلمح أحد منهم إلى جابريل سان كلير ، وخلال عدة أيام لمحت
سيارته الجيب وهي تجوب شوارع المدينة ، ثم اختفت واستنجدت
ـ چيسيـ من ذلك أنه رحل إلى ـأتلانتاـ ورغم العذاب الذي أحسسه
بسبب رحيله دون وداعها كانت تعرف أن ذلك أفضل .

افتزعت أغاني ـ چيسيـ الحزينة الدموع من الجمهور كان ـناثانـ قلقاً
من الدوائر الزرقاء حول عينيها فقدانها الشهية والأوقات الطويلة
التي تحبس فيها نفسها بمفردها في حجرتها .

قلقت عليها ـجينـ فاتصلت بـجابـ في ـأتلانتاـ سالتة :

ـ هل تنوى العودة إلى ـ دهلونيجاـ في ختام الاحتفال ؟

ـ مؤكـد ولكنـ لدى بعض التفاصـيل الفـنية سـاسـويـها معـ بـينـ ولكنـي
سـاحـضرـ .

ـ بـالمـاذـنـية لـقدـ عـرـضـ المـنـتجـ مـبـالـغـ كـبـيرـةـ عـلـيـها لـتـسـجـيلـ الـأـغـنـيـةـ
ولـكـنـهاـ رـفـضـتـ .

ـ أكدـ لهـ هـذـاـ الـخـبـرـ ماـ كانـ يـخـشـاهـ منـ آنـهـ لـنـ تـرـضـىـ بـمـغـادـرـةـ الجـبـلـ
وـانـ تـبـعـهـ مـاـ دـامـتـ رـفـضـتـ تسـجـيلـ الـأـغـنـيـةـ وـمـعـ ذـلـكـ صـمـمـ عـلـىـ تـنـفـيـدـ
خـطـقـهـ .ـ قالـ لـ ـجيـنـ :

ـ إـلـىـ الـلـقـاءـ غـداـ وـأـخـبـرـ هـورـاسـ اـنـيـ سـازـورـهـ .

وسـجـلـوهـاـ مـعـ سـخـصـ أـخـرـ غـيرـيـ
صـحـ لـهـ الـمـنـتجـ كـلامـهـ :

ـ سـاخـذـ آنـاـ الـأـغـنـيـةـ يـاـ نـسـنـةـ ـجيـسيــ ،ـ وـلـكـنـ يـجـبـ عـلـيـكـ آنـ توـافـقـيـ
عـلـىـ تـسـجـيلـهـاـ مـعـنـاـ .

ـ إـذـنـ هـذـاـ مـسـتـحـيلـ :ـ إـنـ اـغـنـيـةـ ـجيـسيــ لـاـيمـكـنـ آنـ تـسـجـلـ إـلـاـ مـعـ فـرـقةـ
ـالـدـسـتـرـ ،ـ هـذـاـ هـوـ شـرـطـيـ قـالـ الـمـنـتجـ وـهـوـ يـنـهـضـ :

ـ حـسـنـاـ ..ـ سـاـتـرـكـ لـكـ بـطـاقـتـيـ ،ـ وـإـذـاـ غـيـرـتـ رـايـكـ فـاتـصـلـيـ بـيـ .ـ
عـنـدـمـاـ رـحـلـ اـسـتـدـارـتـ نـحـوـ ـماـيـكــ وـقـالـتـ لـهـ :

ـ آـنـاـ أـسـفـةـ يـاـ ـماـيـكــ ،ـ وـلـكـنـ لـاـ يـوـجـدـ سـوـىـ مـنـتجـ أـغـانـ وـاـحـدـ فـيـ
ـالـقـاطـعـةـ .

ـ أـعـرـفـ ،ـ وـلـكـنـهـ الـوـحـيدـ الـذـيـ قـبـلـ الـحـضـورـ لـقـابـلـتـكـ وـالـاستـمـاعـ إـلـيـكـ .ـ
ـ هـلـ تـلـكـ الـمـدـعـوـةـ ـجيـنـ شـوـرـتــ الـمـقـيـمـةـ فـيـ مـوـاجـهـتـنـاـ سـتـرـسـلـ لـنـاـ
ـغـيرـهـ ؟ـ

ـ هـلـ ـجيـنـ هـيـ الـتـيـ أـرـسـلـتـهـ ؟ـ
ـ نـعـمـ حـسـبـ قـوـلـهـ .

ـ لـمـ يـضـفـ ـماـيـكــ شـيـئـاـ ،ـ وـاسـتـدـارـ نـحـوـ الـبـيـانـوـ وـاـنـنـاءـ مـرـورـ ـجيـسيــ .ـ
ـ أـمـ الـبـوـفـيـهـ ،ـ لـتـصـعـدـ إـلـىـ شـقـقـهـ سـمعـتـهـ يـعـزـفـ الـلـحنـ مـرـةـ ثـانـيـةـ كـانـ
ـعـلـيـهـ آـنـ تـعـيـرـ كـلـمـاتـ الـأـغـنـيـةـ وـتـضـيـفـ :ـ إـنـهـ لـمـ تـكـنـ مـجـنـونـةـ وـإـنـماـ
ـحـمـقـاءـ تـمـاماـ عـنـدـاـ أـخـبـرـهـ مدـيـرـ الـبـنـكـ آـنـ الـمـبـالـغـ أـوـدـعـ باـسـمـهـ باـلـكـامـلـ
ـفـيـ حـسـابـهـ سـارـعـتـ بـشـرـاءـ الـذـهـبـ الـمـطلـوبـ وـحـمـلـتـهـ إـلـىـ الـمـحـافـظـ .ـ
ـ تـعـتـ اـحـتـفـالـاتـ عـيـدـ هـجـمـةـ الـذـهـبـ فـيـ تـسـلـسلـهـاـ الـطـبـيـعـيـ .ـ اـزـدـحـمـ
ـعـدـ كـبـيرـ مـنـ السـيـاحـ فـيـ شـوـارـعـ دـهـلـونـيـجاـ ،ـ وـاضـطـرـتـ ـجيـسيــ

الاحتفالات ، وصل الجواد امام ملهي "ترب الذهب" ، ثم توقف وهبط راكبه على الارض وهو ينظر نظرات شريرة نحو الفضوليين ثم دلف إلى داخل الملهى .

رفعت جيسي عينيها لترى في الحال على الجسد المشوّق والرياضي وعلى القبعة والجيبي الضيق .

- جاب؟

اطلق طلقة نارية اخرى مما اضطر الموسيقيين إلى التوقف فجأة عن العزف . تقدم راعي البقر بخطوات بطئية نحو ملكة المكان وأمسك بذراعها :

- إنني أخذك أسريرة يا سيدتي ! اتبعيني دون مقاومة ولن يصاب أحد بضرر .

- ولكن ماذا تفعل يا جاب؟

- أنا خارج على القانون وأنا أختلف يا سيدتي ومن يعارضني عليه أن يقول ذلك في وجهي .
لم يتع لجيسي فرصة الاعتراض عندما حملها بالقوة من مكانها وبعد لحظات وجدت نفسها فوق صهوة الجواد بعد أن رفعتها زراعاه القويتان ثم انضم إليها . وقال للجواد :

- هيا بنا يا فويجو وتذكر ما علمك موراس . بينما الجواد يعود وتبأ فوق الأسفلت أطلق جاب آخر طلقة نارية ليمنع أحداً من مطاردته سارع الفضوليون إلى مكتب المأمور حتى يتدخل لوقف عملية الاختلاف ولكنه لم يفعل شيئاً بل أدى تحذية إلى الفارس الذي ابتعد .
قالت له جيسي عندما ابتعدا :

الفصل الحادي عشر

كانت مراسم اختتام احتفالات عيد "جمة الذهب" تشمل ضمن برامجها تزييج ملكة ناجت .

وقد تمتع السياح بسباقات الروديو والخيول والتسويق من المحلات والحوانين والتربّد على المطاعم والملاهي لم يتوقع احد حتى منظمو الاحتفالات ما حدث :

علت فوق أصوات الموسيقى الصاخبة وضجيج الناس صوت طلقات نارية : ران صمت مذهول على كل الناس ودارت رؤوسهم ناحية الشارع وهناك برمز لهم جواد فخم أسود يحمل على ظهره رجل يرتدي قبعة رعاة البقر ومسلحًا ببندقية طويلة موجهة نحو السماء .

افسح الجمهور الطريق وهم يعتقدون أن هذا المشهد ضمن

يمكن ان يهتم بي
 - وهل نسيت چين ولوبي وناتان ومايك وافراد فرقتك
 الموسيقية .. وجميعهم مدعوون للذهاب إلى ناسفيل لحضور تسجيل
 اسطوانتك .
 - ولكن ليست لدى نية الذهاب إلى ناسفيل ولن أغادر جبل
 بامكناين .
 - ليس بصفة دائمة دون شك
 عندما وصلا إلى منطقة خالية من الأشجار استأنف فويجو جريه
 في هدوء ، استعدت چيسى لتكلمه المناقشه عندما تجمدت في مكانها
 وهي تلمع الشاليه ، ومنه يتتصاعد الدخان والنواذ مفتوحة على
 مصراعيها . سالته :
 - من يسكن هنا ؟ إنني لم أشاهده أبدا ..
 قاطعها :
 - لا أحد يسكن هنا وحسب أقوال العم باك هذا البيت خال من
 حوالي خمسين سنة
 - العم باك ؟
 هبط جابريل من فوق الجواد ثم مد ذراعيه لرفيقته لي ساعدها على
 الهبوط قائلا :
 تعالى يا چيسى هناك ما أريد أن أريه لك
 أطاعته چيسى وهي حائرة وتبعته وهو يدور حول البيت الصغير
 وقف فوق الشرفة الخشبية لحظات تمنع انتظارها بالمنظر الطبيعي
 وهي تتساءل كيف لم تحضر إلى هذا المكان أبدا

- يمكنك أن تدعوني أهبط الآن : إن السياج لهم الحق في رؤية هذا المشهد
 أنا لا أحاول تسلية السياج ياسيدتي ، أنت ضحية عملية اختطاف
 حقيقة .
 -ولي الحق أن أحتج أيضا بطريقة جديدة .
 - لقد سبق أن أخبرتك يا چيسى ، أنك جادة أكثر من اللازم ، وأنه
 يلزمك أن تسترخي أحياناً وستذهبين من النتيجة لوفعت .
 ترك فويجو الطريق فجأة بناء على توجيه راكبه وانطلق وسط
 الغابة متوجهًا إلى الجبل من شدة المفاجأة استسلمت چيسى لقدرها
 وإن أحسست بالسعادة لأنها عثرت مرة ثانية على جاب فتى طفولتها
 وأغلقت عينيها وهي غارقة في أحلام السعادة ، وبعد عشرين دقيقة
 سالته عندما أحسست بالسكون عدا صوت حوافر الجواد .
 - أين سنذهب ؟
 - إلى مكان أعتقد أنك لم تضعي قدميك فيه من قبل
 - أتعرف يا جاب ، أن هذا الجبل لم يعد يخفى عن أي سر ،
 - هذا ما كنت أعتقد إلى أن اكتشفت أنني مخطى في ظلني
 قالت له بلهجة ساخرة :
 - أنت تخطي ، هذا مستحيل .
 توغل الجواد وسط الأشجار التي ازدادت كثافة : وكانت الأغصان
 المنخفضة تهدد بصفعهما على وجهيهما ، وتنمرق حواف ثوب چيسى .
 - برقة يا فويجو .. لأنريد أن نخرج ضحيتنا قبل الوصول إلى
 المخبأ .
 - مخبا ؟ هل تفكرا أيضا في طلب فدية ؟ على كل حال ليس هناك أحد

- لقد قال لي: إن لها طباعك . وظن ان بيع الشالية حتى يعيش فيه اشخاص اخرون سيساعدك على النسيان ولكنك كان مخطئا ، ولم يكت حزنه عن تعذيبه إلى أن حوله شيئاً فشيئاً إلى رجل عجوز ووحيد .

- باللأسي! أربعة اشخاص أصابهم القدر ولكن إذا كان "باك" يرغب في بيع كل أراضي "سان كلير" فلاشك أن ذلك ودون شك من أجل الحصول على بعض راحة النفس .

- لا يستطيع أحد بيع هذه الأرض يا "جيسي" لقد سبق أن باعت مارتا كل ما هو حول الشالية وقد احتفظ جدك في عناد بهذا الشريط من الأرض الذي يسمح بالمرور إلى بقية الأرضي .

- وانت تسمي هذا المكان "مذبح الحب" .

قال وهو يقترب منها وينظر في أعماق عينيها:

- إنه كذلك بالنسبة لي لقد كان مذبح حب جدينا والآن هو مذبحنا المقدس .

- إنه رائع يا "جاب" .

بدا وكان حباً خالداً ينبعث من ذلك المكان ومن نظرات "جاب" أيضاً ويذهب مباشرة إلى قلب الشابة . أكمل حديثه:

- وهكذا ترين يا عزيزتي أنه بمنع الدخول إلى هذه الأرضي والأملاك احتفظاً بحبهما سليماً حتى النهاية . والآن هذا المكان أصبح لنا . أنا أحبك يا "جيسي" وإذا رغبت البقاء فسأبقى أنا كذلك ولن أترك بعدها أبداً .

فجأة أحسست "جيسي" بأن كل المخاوف التي كانت تتسلط عليها قد اختفت وتبخّرت في الهواء ، أحسست أنها خفيفة وترى أن ترقص

وكيف لم تعرف أبداً أن هذا المكان موجود؟ في الداخل استقبلتها طقطقة النيران في المدفأة دون كلمة اشتعل "جاب" عود ثقاب وهو يبتسم ابتسامة غامضة وقربه من فتيل مصباح كيروسين وأشعله .

قالت "جيسي" هامسة:

- لست أفهم أين نحن؟ إن هذا المكان يبدو لي لذينا وحميماً للغاية يا "جاب" وكان الحياة فيه لم تتوقف أبداً .

أجابها في رقة:

- إنه هكذا إلى حد ما: إنه الشالية الذي كان يتقابل فيه جدتي وجده بعيداً عن العالم الخارجي .. إنه مذبح الحب لهما والعيش في حضن الجبل .. الجبل الذي تحبينه جداً .. إنه كل حياتك همست وهي تلمس الأثاث اللامع .

- يا إلهي ! كيف عرفت بوجوده؟

- لقد كنت أجهل وجوده مثلك .. ووصلت إليه مصادفة، كان البيت مفتوحاً ودخلت وسحرني وقررت قضاء الليلة فيه .. ففعلت .

استدارت "جيسي" نحوه دون أن تتجاوز على سؤاله عن أمر فهمه هو فقال :

- إن العم "باك" كان يريد بيع تلك الأرضي لأنها ذكره بذكريات مؤلمة لقد كان هو أيضاً يحب "مارتا" ، ولكنها فضلت عليه أخاه ، ثم بعد ذلك جدك وبعد أن مات زوج "مارتا" كانت ستتحول إلى العم "باك" ولكنها لم تفعل وانتهى بها الأمر أن ماتت من الشعور بالذنب .

قالت "جيسي" :

- لابد أن "مارتا" كانت شخصية كريمة جداً!

ينتج أكبر كمية ظهرت هنا إذن نحن غنيان بفضل هذا الجبل
 - لقد كنا دائمًا غنيين بفضل هذا الجبل يا جاب . خاصة بالحب
 الذي نتبادله دون أن ندرى .
 إنها تحس بسعادة لا توصف : إن الرجل الذي تحبه أعاد لها جبلها
 العزيز وقبل أن يعيش فيه معها، وأن يشاركها فيه .. ولم تكن أبدا
 تحلم بهذه النهاية .
 - لقد حاولت بكل طاقتى الابتعاد عنك يا چيسى وحاولت العثور
 على شخص آخر لاحبه ويحبنى وكل ما تمنيته كان موجودا هنا امام
 عيني ولا أراه !
 - وأنا لم أكن أتعلق بهذه الحقيقة باعتبارها حلما .
 لقد كنت دائمًا في حاجة إلى الحب حتى إنني حاولت شراءه وحبي
 لك . كان جبل يامكتفain الذي عشنا فيه .
 - إن كل هذا ملك ياعزيزتي ، وأعید لك كل ما كان ملكك .
 - ليس الجبل هو ما كنت أحبه يا جاب ، وإنما أنت كما كنت تعلم :
 إن الحب يوجد أينما كنت موجوداً!
 عندما نظر إليها صاح بداخله:
 - يا إلهي كم هذه المرأة تحبني واحبها !
 - هل أنت واثق من أنك تحبني وتريدني لأنني هذه المرة لن أدعك
 ترحل كما فعلت مرات في الماضي .
 أطلق زفقة طويلة عبرت عن مدى حبه .
 - أنا واثق تمام الثقة منا .. ومني أنا بالذات .
 قالت چيسى بينما القمر يرتفع فوق الوادي

وتغنى ، ليست تلك الألحان الحزينة والشجية ، وإنما أغاني الحب الذي
 كان ضائعاً وعثرت عليه .. والذي ولد من جديد .
 - أقول لي : إن هذا المكان أصبح ملكنا الآن؟
 - نعم . إذا وافقت أن تشاركييني الحياة فيه .
 - وهل تخね أن ملاكا حارسا يستطيع أن يعيش مع خارجة على
 القانون أقسم أن يسهر عليها ؟
 - نعم يا حبيبتي بشرط أن تعرف الخارجة على القانون كيف تكرر
 عن أخطائها ؟
 قالت چيسى بحماس وحيوية :
 - إنها تقبل التكفير عن أخطائها .. إنني أسفه على كل الأكاذيب
 التي قلتها حتى أحطم علاقتك بـ لورا .
 - لقد سامحتك عليها كلها رغم أنني كنت أعرف
 أنت تفعل ذلك بداعي الحب وماذا فعلت أيضاً؟
 - لاشيء .. حسنا .. بعد موت مارتا لم أكشف لأحد أن جدي بوب
 اكتشف عرقاً آخر من الذهب تحت أراضيكم . ولا يمر تحت أراضينا
 وحاول أن يستولي قطعة الأرض من عمق الذي رفض وللهذا لم يقل له
 شيئاً .
 - أنت تمزحين يا چيسى وماذا لم يفعل والدك شيئاً ؟
 - إنه لم يصدق أبداً بوب وظن أن ذلك أحد أحلامه الكبار . ولكنه
 الآن غني يا جابريل سان كلير بفضل چيمس .
 - نعم أنا غني لأنهم منحوني چيسى چيمس .
 - أنا أتكلم عن المال يا جاب : أنت تمتلك منجماً من الذهب يمكن أن

- أتعرف أنك عندما قلت : إن جدتك باعت ما حول هذا المكان لتحمي
المدخل إلى مذبح الحب ظننت أنها أرادت أيضاً أن تمنع الخروج منه!
- ولكن ما أهمية ذلك اليوم مادام أحد افراد "سان كلير" سيتزوج
واحدة من عائلة "جيمس"؟
- إن كل شيء سيعود إلى النظام.
- أنتقول إن واحداً من "سان كلير" سيتزوج واحدة من "جيمس"؟
- لقد فهمت ذلك تماماً يا عزيزتي ، أنا أحبك يا عزيزتي وأريد الزواج
منك وأشارك الحياة هنا طفرت الدموع من عيني الشابة وقالت
بصوت منفعل :
- وانا كذلك احبك يا جاب كما لم احب اي شخص من قبل .

لتمت